الشفق الأحمر

رواية

سارة هشام عبد المقصود

داركتاب للنشر والتوزيع



كتاب

مسئول النشر

طارق رمضان

مدير التوزيع

عمر عبد السميع

مدير العلاقات

مها عادل

الطبعة الأولى

الكتاب : الشفق الأحمر

تأليف : سارة هشام عبد المقصود

تصنيف الكتاب : رواية

مصمم الغلاف : عبد الرحمن سندوبى

إخراج : أحمد عبد الرحمن

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٣٩٠٨ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : 4 - 46 - 6597 - 977 - 978

العنوان : ٤٧ تقاطع الفلكي مع محمد محمود - القاهرة - مصر

التليفون : ٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨

Email : darkitabone@gmail.com

إهداء

إلى رفيــق دربي ومُلهمي..لــولاك مــا حاولــت، بفضــل الله أولًا ثــم بفضلــك رأت روايتــي الأولي النور.دمــت سالمًا ودام عشــقك بقلبي»خالــدًا«.

لمــن أنســاها زحــام الحيــاة نفســها،ولم تنــس شــغفًا بداخــلي أراد الظهور،دمــتِ ســعيدة وقويــة و»آمنــة«.

إلى عــرّاب هــذا الجيــل د.أحمــد خالــد توفيــق رحمــه الله أهــدي روايتــي الأولى،لم تجعــل الشــباب يقــرأ فحســب،بل جعلتهــم يكتبــون أيضًــا.

إلى أبي وامي وأختي وكل عائلتي...شكرًا على كل شئ.

وإلى «إيلايس دويل»... أتمنى أن تكون حيًا

المكالمة

لم أكن متأكدة أكان ذلك الشفق أم الفجر، لكن الشمس كانت تغزل خيوطها الحمراء حينذاك، و كان الضباب كثيفاً، و الحقول حولنا شاسعة إلى ما لا نهاية، و هناك ذلك الرجل - أو الشئ - المُتلّحِف بالسواد الذي أتبعه في صمت، لا أعرف لماذا أتبعه ولا أعرف إلى أين نذهب، فقط اتبعه.

ثم تأتي تلك الموسيقى المزعجة من السماء، موسيقى غامضة.. كئيبة و لكن تبدو مألوفة. موسيقى شرقية هادئة، تبدو عادية ولكنها غير مريحة على الإطلاق، فأغمضت عيناي وسددت أذناي بيداي انزعاجاً. ثم فتحت عينيّ لأجدني بغرفتي.

كانت الغرفة مظلمة و لكن يدخلها بصيص من ضوء النهار، رأيت ظلًا متكومًا على تلك الأريكة المقابلة

للفراش. استغرقت دقائق للاستيعاب ثم قلت بصوت متحشرج:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

كان ذلك أخي رامي صاحب الأعوام الخمسة عشر، يجلس على الاريكة وعلى قدمه اللاب توب، انتبهت إلى صوت الموسيقى الصادرة من الجهاز و هي نفسها التي سمعتها في الحلم. يحدث ذلك أحيانًا و لكن مع جرس المنبه.

رد رامي بآلية بدون أن يرفع عينيه من على الشاشة قائلًا:

- قاعد.

- ليه قاعد هنا ؟

- الست بتنضف أوضتي.

كان يقصد تلك السيدة التي أتفقت معها أمي منذ سنين معها لتنظيف الشقة مرة كل أسبوعين.

قلت:

- طب اسمع بال **handsfree** يا أخي.

رد بنفس الآلية بدون أن ينظر إلي :

- انتي خدتيها.

تذكرت اقتراضي لساعته حين فقدت ساعتي مؤقتًا حتى أقوم بشراء أخرى.

أخي رامي هو شخص إنطوائي لا ينتمي للمراهقين في سنه، يتصفح في الانترنت بشكل دائم يقلق والدايّ.

نظرت إلى الساعة لأهب فزعة و أتعثر إلى الحمام. نفضت ذكرى ذلك الحلم من رأسي سريعًا .. يا إلهي تأخرت كثيرًا،نزلت مسرعة فصفعني ضوء الشمس.

***

أنا (وجد)، اسم غير عادي لفتاة عادية، لم أتمنى يوماً ما حياة غير عادية أو مثيرة. فحياتي مملة حتى الموت وذلك يرضيني، في الرابعة والعشرون من عمري، أما عن عملي فهو ما نتوقعه لفتاة مملة تعيش حياة مملة، و هي أيضاً وظيفة ٨٠٪ من الشباب: خدمة العملاء، المعروفة بالكول سنتر، أعمل كممثلة خدمة العملاء لإحدى البنوك الغير معروفة، بحكم إنشاءه من قريب إلى حدٍ ما. وهي وظيفة لا أحبها ولا أكرهها، هي فقط وظيفة.

ركضت حتى لحقت بحافلة العمل، وما أن جلست حتى بدأت أتنفس و أستوعب ما قمت بارتداءه في عجلة، دخلت فوجدت المكتب المتسع يكتظ بالزحام، جريت لمكتبي لأجد من يجلس عليه ما أن رآني قال:

«آسف.. أنتي اتأخرتي و مكنش فيه مكان.»

رأى مجدي، الملقب ب (ميجز) - وهو أحد المدراء- نظرتي البائسة فأشار بيده قائلاً:

- معلش.. ممكن تقعدي هناك.

نظرت حيث أشار فوجدت ذلك المكتب المعزول الذي يتجنبه الجميع لإنعزاله، و أتجنبه أنا على وجه الخصوص لأنه يكمن تماماً خلفه ذلك الحائط الزجاجي الذي أرى من خلاله كل شيء صغيراً للغاية، مما يثير الرعب في نفسي حيث أنني أعاني من فوبيا المرتفعات. جلست عليه بعد أن يئست أن أجد مكاناً آخر.

١٢:٠٠ P.m

فتحـت حاسـوبي فبريـدي الإلكـتروني فبقيـة تطبيقـاتي، نظـرت للسـاعة في أسـفل الشاشـة فوجدتهـا في تمـام الثانيـة عـشر ظهـراً، فضغطـت عـلى زر الإسـتعداد لاسـتقبال المكالمـات. مـرت عـشر دقائـق بـدون مكالمـة واحـدة، نظـرت إلى تلـك الشاشـة المعلقـة التـي تحـدد عـدد المكالمـات التي عـلى الانتظـار لأجـد سـبع مكالمـات.

أشرت إلى ميجز قائلة :

– بقولك ايه مبيجيليش **calls**.

– ممم.. طب إبعتيلي إيميل بال **user**.

– ال **default** بتاعك ايه؟

نظر بعدم فهم قائلًا: «ايه؟»

- ايه اللي قبل مجدي يعني.. محمد ولا أحمد ولا محمود؟

ضحك قائلًا:

- محمود يا ظريفة.

ما أن بدأت بالكتابة حتى جاءتني مكالمة فأشرت له بإبهامي ففهم أن المشكلة تم حلها.

أجبت المكالمة :

- مساء الخير، **RTL**، وجد معاك.

مرت ثواني من الصمت ثم جاءني صوت رجل يبدو كبيراً بالسن.

- مساء الخير، معاكي حكمت، و ده رقم حسابي (******).

- اتفضل يا فندم إزاي أقدر أساعدك ؟

- قوليلي يا بنتي، حسابي فيه كام.

- تحت أمرك بس ممكن أراجع معاك البيانات ؟

- اه طبعاً اتفضلي.

- ممكن رقم البطاقة .

- اه طبعاً ٢ **********

- ممكن نوع حسابك؟

- عندي جاري و توفير.

- أنواع العملات؟

- عندي مصري و عندي دولار و يورو.

- تمام شكراً، حساب حضرتك الدولار فيه ٦٠٠٠٠ واليورو فيه ١٥ , ٢٤٣٢٤ و المصري فيه ٢٠٠٠٠.

- تمام أوي، ممكن تحوليلي لحساب تاني؟

- تحت أمرك ممكن رقم الحساب اللي هتحوله؟

- اه أكيد ******، بإسم خيري السيد راسلان

- تمام..

قمت بالتحقق من بعض الأشياء اللازمة ثم قلت تلك الجملة الإجبارية التي يجب أن تقال في مثل تلك المواقف :

- التحويل اللي هيتم هيكون على مسؤلية حضرتك يا فندم .

- اه تمام يا بنتي.

- حضرتك عايز تحول كام؟

- اللي في الدولار كله.

- .ا...٦٠٠٠٠ دولار؟

- ايوه يا بنتي.

كبقيـة زملائـي أكـره التحويـلات لطـرف ثالـث، فهـي مغامـرة محفوفـة بالمخاطـر؛ حيـث يسـتلزم الكثـير مـن التحققـات قبـل إجـراء الأمـر. كـما يتتبـع ذلـك التحويـل قسـم مختـص ليتحقـق مـن صحتـه، ثـم يعيـد التواصـل مـع العميـل ليتأكـد مـن أن هـذا مـا أراده العميـل فعـلاً؛ وذلـك ليتأكـد مـن أنـه لم يتـم اسـتغلال العمـلاء مـن قِبَـل الموظفـين، و هـو نـوع مـن التشـكيك في أمانتهـم، وعندمـا يكـون المبلـغ بهـذه الضخامـة، فالأمـر عـادةً لا يمـر مـرور الكـرام.

لم أجـد مفـراً مـن إجـراء التحويـل، متمتمـة: «تحت أمـرك» .

قمت بإجراء التحويل ثم قلت:

أي أوامر تانية؟

- اه.. اعمليلي نفس التحويل في اليورو.

ضغطـت عـلى زر كتـم الصـوت، وهـي عـادة أعتدتهـا عندمـا أريـد قـول شـيئاً لا أريـد أن يسـمعه العمـلاء، و قلـت بحسـرة: «يـادي النيلـة»

- ممم.. تمام يا فندم.

بينما كنت أقوم بالتأكد من البيانات سألت العميل :

- هو ليه حضرتك متعملش التحويلات دي عن طريق الانترنت البنكي، بتكون أسهل و أأمن كتير.

- يابنتي أنا مليش في الحاجات دي، أنا راجل كبير وعلى قدي.

الغريب في الأمر أنني وجدت أنه بالفعل يستخدم الانترنت البنكي و قد أجرى من خلاله بعض التحويلات.

- بس أنا باين عندي أنك بتستخدمه و حولت من عليه قبل كده.

ارتبك ثم قال ضاحكاً:» ا.. اه.. ده الواد ابني.. هاها.. عفريت هو اللي بيعرف الحاجات دي.. أكيد هو«

- طب حضرتك عارف أن مينفعش حد غيرك يستخدم حسابك ؟

- ايوة يا بنتي بس ده ابني.

- بس برضو...

- يا بنتي أنا آسف، هو انتي بتذليني يعني عشان هتحوليلي ولا عشان أنا راجل كبير و مش عارف الحاجات بتاعتكو دي، خلاص يا بنتي أنا هقفل شكلي تقلت عليكي، متشكرأوي.

رغم أنني أعلم مدى حساسية مشاعر كبار السن وسرعة تأثرهم، إلا أنني شعرت بالذنب و أنني قسوت عليه، رغم معرفتي بأن معظم كبار السن يجعلون أبنائهم يتحكمون في حساباتهم على الانترنت أو حتى في هواتفهم، فعندما يتعلق الأمر بالتكنولوجيا يستعينون بمن هم أصغر سناً وأكثر دراية.

فقلت :

- آسفة يا فندم أنا بس كنت بوضحلك..

قاطعني :

- ولا يهمك يا ينتي..

- أحول قد ايه؟

- كله كله يا بنتي أنا مش عايز حاجة لنفسي.

- كل اللي في اليورو؟!

- أيوه.

- تحت أمرك.

وضعت كتم الصوت و أنا أتفقد الحساب في ضجر ثم أتممت التحويل و أكملت التفقد من باب الفضول.. «بيشتغل ايه ده» تفقدت صفحة المعلومات الشخصية لأجده متقاعداً، ثم لفتت نظري معلومة أهم بكثير.

«هااااار اسسود.!»

اتسعت عيناي في رعب وأنا أحدق بالشاشة حيث المعلومة:

الجنس: أنثى!!!

***

١٢:١٦ p.m

لطمـت عـلى فمـي و أنـا أفكـر . . هــذا ليـس صاحـب الحســاب، هــذا ليــس العميــل، كيــف حــدث ذلــك؟ اســمه حكمـت.. بالطبـع، حكمـت قـد يكـون ذكـراً او أنثـى .. مـا أغبــاني!

كان التحويل قد تم و من المستحيل الرجوع به.

جاءني صوته من بعيد قائلًا:

- ايه يا بنتي عملتيلي التحويل ولا ايه،أخرتي اوي.

جاء صوتي مرتعشاً: «عملته»

فكــرت أن أواجهــه بأنــه ليــس العميــل الحقيقــي، ثــم أدركـت غبـاء الفكـرة، ثـم فكـرت أن أذهـب لأحـد المـدراء و أن أصارحـه بالحقيقـة كاملـة، خـير مـن أن أسـتمر في مسـاعدة شــخص يتحكــم في حســاب شــخص آخــر.

قلت بصوت مرتعش:

- ب.. بستئذنك دقيقتين معايا ع الانتظار أتأكد من بعض البيانات و أرجعلك.

- استني بس يا بنتي رايحة فين.. ده حتى مدام حكمت نفسها تشكرك أوي على التحويل و إنك ساعدتينا... خدي يا حكمت آنسة وجد.

سمعت صوتاً أنثوياً مكتوماً .. «هممممم .. همممممممممم مفممفمممم»

كانت أشبه بصرخة مكتومة.

ثم جاءني صوت الرجل قائلاً:

- بس يا حكمت هتخوفي الآنسة وجد.. معلش أصلها تعبانة شوية»

قلت بريبة:

- طيب معلش بستأذنك دقيقتين على الإنتظار..

لم أكد أضغط على زر الانتظار حتى أوقفني صوته العالي و هو يهتف:

- لأ لأ اسنني يا وجد متسبينيش.

توقفت يدي في الهواء.. فأكمل:

- أصل يا بنتي هقولك.. مدام حكمت عندها ربنا يعافيكي شلل. مدام حكمت اتعرضت لتجربة صعبة أوي..

تقطّع صوته ثم أكمل باكيًا:

- مدام حكمت شافت ابنها و هو بيموت قدامها، من ساعتها و هي اتشلت و فقدت النطق.

صادف الشخص الخطأ، ليس في قلبي ذرة شفقة تجاه الغرباء، فماذا لو شخص يستغل حساب زوجته؟

قلت ببرود:

- تمام مقدرة جدا اللي حصل ده و ربنا يشفيها ويصبرها.. بس ممكن ثواني بس تنتظرني.

- برضو هتسبيني؟

أكمل بصوت منخفض قائلًا:

- بصراحة أنا بخاف منها، هي صحيح مبتتحركش و مبتتكلمش بس شكلها يخوف.

بينما كان يتحدث، قمت بكتم الصوت و ناديت أحدهم و لكن نظراً للزحام و الصوت العالي و نظراً لمكاني النائي لم يسمعني أحد.

- آلو.. وجد رحتي فين؟

جلست حيث يئست من أن يسمعني أحد أو من أن أقنعه بالانتظار، لم أرد أن أضع الانتظار عنوة حتى لا يقوم بعمل شكوى فيّ. يكفي كارثة واحدة اليوم.

قلت بحزم:

- حضرتك أنا دلوقتي محتاجة مدام حكمت تقولي بنفسها أن التحويل اللي تم على مسئوليتها.

- يا بنتي مبتتكلمش.

- يبقى أنا آسفة مضطرة أوقف الحساب لحد ما تيجي بنفسها الفرع و تعمل لحضرتك توكيل.

- ليه بس كدة توقفي حالنا؟

كنت قد بدأت أفقد أعصابي، قلت ضاغطة على الحروف:

- حضرتك عارف إنه مينفعش تستخدم حساب زوجتك صح؟

- يا بنتي مين قالك بس أنها مراتي!

سمعت الصوت الأنثوي المكتوم يتعالى، و كأنها تصرخ بجنون.

قلت بخوف: « هو فيه ايه»

كان صـوت المـرأة يتعـالى فقـال: «مـا تخـرسي بقـى».. ثـم صرخـة مكتومـة طويلـة.. ثـم صـوت شيء كطلقـة مكتومـة اختفـى بعدهـا صـوت المـرأة.. ثـم قـال:

- هتوحشنا مدام حكمت.

***

١٢:٣٧ p.m

قلت بصوت مرتعش محاولة أن أتمالك نفسي :

- ه.. ه. هو أنت.. عملت إيه ؟

- ريحتهـا.. كان عندهـا روماتـزم و كانـت تعبانـة أوي.. عارفـة أنتـي الروماتـزم ده صعـب أوي. بتحـسي كـده إن فيـه في رجلـك ..

هببت واقفة و قاطعته:

- أنا آسفة مضطرة أحط انتظار..

- استني!

قالها صارخاً و قـد تحولـت نـبرة صوتـه و اختفـى ذلـك الوهـن في صوتـه و اسـتبدلت بقسـوة.

- فاكرة نفسك رايحة فين.. اقعدي !

جلست ببطء غير مستوعبة لأي من هذا الهراء، و تمنيت أن يكون حلماً من تلك الأحلام ذات المصدر المجهول.

- أنتي فاكرة إني هسيبك تحطيني على الhold كده عادي؟ تقومي أنتي تقولي للمدير، مش خايف طبعاً بس مخلصتش طلباتي لسه..

قررت أن أنهي تلك المسرحية الهزلية وضغطت على زر إنهاء المكالمة، و يا للعجب! ذلك الزر الذي أتجنب ضغطه في الظروف العادية و مع ذلك أقوم بضغطه بالخطأ فأقع في مشاكل، الآن أكاد أهشم الفأرة ضغطاً و المكالمة مستمرة.

- هههههههه... هي هي.. كح كححححح.. اههه..

اختلط صوت ضحكاته المستفزة بصوت ضغطي المستمر على الفأرة، نظرت حولي بجنون عسى أن أجد أحداً أشير له بأي إشارة لينجدني.

قاطع بحثي صوته :

- أنتي فاكرة أن حد هيشوفك في المكان المقطوع اللي انتي قاعدة فيه.

شعرت ببروده تزحف على جسدي، جردت بعيني كل جزء في جهاز الكمبيوتر، حتى على المكتب، عساني أجد

تلـك الكامـيرا المخبـأة التـي يراقبنـي بهـا، لم أجـد أي شيء.

- مسألتينيش يعني ايه بقية طلباتي.

- ه.....

- كمليلي بقية التحويلات.

- بس..بس احنا خلصنا..

- لسه فيه المصري.. قولتيلي فيه كام؟

- ٢٠٠٠٠

- حلو. حوليهملي كلهم.. بس مش على نفس الحساب.

- ؟؟

- بـصي بقـى.. أنـا عايـز أتـبرع بيهـم عـلى.. ممـم.. اسـمها ايـه دي بتاعـة الأطفـال.. اه.. .المستشـفى دي.. رقـم حسـابها تقريبـاً *****

- هتتبرع بال ٢٠٠٠٠ كلهم!. ب..

قاطعنـي متحدثـاً بلهجـة شـفقة مفتعلـة ذات اصطنـاع مقصـود وسـخرية واضحـة:

- أيـوة يـا بنتـي.. عايـز أتـبرع للأطفـال المسـاكين الـلي عندهـم سرطـان و شـعرهم بيقـع و بقـو شـبه الزومبـي.

قــررت ألا مزيــد مــن التــورط، قمــت مــن مــكاني سريعــاً لأتجــه لأحــد المــدراء لأخــبره بــكل شــئ وليقومــوا بطــردي بعدهــا لا يهــم.

فالأهم الآن هو أن أتخلص من ذلك الموقف.

أوقفني قائلاً:

- اســتني.. هوريكــي حاجــة و لــو معجبتكيــش ابقــي قومــي و اعمــلي إلــلي انتــي عايــزاه ..

تجمــدت في مــكاني و أنــا أفكــر مــا عســاها أن تكــون المفاجــأة، ربــما كانــت مزحــة أو اختبــار لأمانتــي مــن الإدارة أو حتــى مقلــب مــن رامــز جــلال بنفســه، أفاقنــي صوتــه، قائــلاً:

- تمام؟

جلســت بــدون أن أنبــس ببنــت شــفه، ولكنــه رد وكأننــي أجبتــه بالإيجــاب قائــلاً :

برافو عليكي.. و دلوقتي افتحي ال ▯ عندك.

أمســكت الفــأرة بيــد مرتعشــة و نفــذت مــا قالــه وفتحــت ملــف ال **c**.

- هتلاقي **file** كدة اسمه **watch** جواه فيديو وحيد.

وجدت ذلك الفيديو بالفعل و اسمه **play me**.

- افتحيه متتكسفيش.

فتحته و قلبي يدق كقرع الطبول.

لم أستعب شيئاً في البداية، ولكن ما هي إلا بضع ثوان و قد اتسعت عيناي دهشة و رعباً. لم يكن المكان الذي أراه في الفيديو إلا غرفة المعيشة بمنزلي، و كان هناك ثلاثة أشخاص: أبي يجلس على اليسار، و أمي على اليمين، و أخي الصغير رامي يجلس بينهما.

لم يبد أنهم يجلسون على أريكة الغرفة المريحة، بدا أنهم يجلسون على كراسي منفصلة. لم يكن ذلك ما أفزعني، ما أفزعني حقاً هو تلك الأوشحة التي كممت أفواههم، والغريب و المرعب معاً هو أن أعينهم لم تمتلأ بالرعب كما هو متوقع في مثل تلك المواقف، بل كانت وجوههم خالية من التعبيرات، في وضع استسلام تام.

أعينهم خاوية. أرتعبت من فكرة أنهم فاقدين الحياة، ولكني لاحظت ارتفاع صدورهم مما يشي بتنفسهم، فلمَ ذلك الاستسلام إذن؟

و ليكتمل المشهد، كان هناك ذلك الشئ خلفهم. هو رجل - تقريباً - يرتدي ذلك الزي الأسود الذي يخفي

الوجه و الجسد معاً، و هناك منقار بارز عند الأنف و الفم باختصار، هو تماماً ذلك الزي الذي ارتداه أطباء الطاعون قديماً، حاولت تسريع الفيديو أو اختصاره لأشاهد النهاية لكنني لم أجد ذلك الخيار متاحاً، كان المقطع مستمراً وحسب و كأنه بث مباشر.

جاءني صوته ساخراً و ما زال الفيديو لم ينته:

- هاه.. ايه رأيك؟

سقطت دموعي في صمت، ثم أكمل و قد اختفت السخرية من صوته و حلت محلها القسوة:

- اعملي التحويل!

***

١:٠٠ p.m

قمـت بإتمـام التحويـل بمستشـفى الأطفـال، لا أعـرف مـا الهـدف مـن ذلـك، لمـاذا لم يأخذهـم لنفسـه مثـلًا أو حتـى يتركهـم في الحسـاب ؟ ربـما كان الهـدف الوحيـد هـو إزعاجـي و توريطـي أكثـر . عـادت السـخرية في صوتـه قائـلًا:

- حلـو أوي كـدة، أنـا ضمـيري ارتـاح كـده.. قوليـلي يـا وجّـود، ده لـو تسـمحيلي طبعاًأدلعـك و أقولـك يـا وجّـود.. قوليـلي بقـى.. أكـتر مدير عندكـو بياخـد كام؟

- معرفش

- طب مش مهم.. أرقام حسابتهم كام؟

- معرفش

- لأ بقولـك ايـه تـردي عليـا عـدل كـده، عشـان دماغي مش فايقـة دلوقتـي بفكـر هعمـل ايـه في بابا و مامـا و رامي العسـول.

صرخت باكية :

- معرفش معرفش مش حافظاهم.

- هششـش.. عيـب كـدة يـا وجـد، هـي مامـا معلمتكيـش تـردي ازاي عـلى النـاس، ممكـن أقـول لعمـو الـلي معاهـا دلوقتـي يقولهـا.

انفلـت و تلفـت أعصـابي تمامـاً و انهمـرت دموعـي، قلـت لـه وسـط دموعـي:

- أنت مريض.

- طيـب بـلاش.. هاتيـلي أرقـام ١٠ حسـابات مـن عنـدك، و أظـن مفيـش أسـهل مـن كـده.

تذكـرت شـيئاً لم أفعلـه . لم أرد أن يلاحـظ، فقمـت بسـند المشـترك الـذي تـم وضـع بـه مقابـس الكهربـاء بقـدم، وشـددت سـلك المقبـس المعنـي بالقـدم الأخـرى، مـن المفـترض أن يتوقـف الحاسـوب عـن العمـل، حيـث انقطعـت عنـه الكهربـاء، ولكـن ذلـك لم يحـدث، لم يتأثـر أي شـئ و كأن اللعنـة قـد حلـت بـكل شـئ. .

صمتُ و غرقت في أفكاري و دموعي، قطع صمتي قائلاً:
- كدة أنا عملت اللي عليا. بصي أنا لقيت فكرة حلوة أوي، فيه فيديو منتشر على الانترنت فيه واحد أجبروه إنه يشرب دم عيلته. فكرة لطيفة صح؟ اتغديتي انهارده؟

***

١:١٢ p.m

- ....

- بصي بقى.. أنا زهقان. و بصراحة صعبان عليا أموتهم من غير سبب، فهنلعب لعبة وأهو برضو نتسلى. ماشي؟

لم أنطق حرفاً، فكرر:» ماشي؟؟»

غمغمت بأنه حسناً، فلا حل آخر.

- هسألك أسئلة و على حسب إجاباتك هتنقذي حد من عيلتك .... أو هنخسره.. تمام؟

أجبت بالصمت، فأكمل قائلاً :

- تفتكري لو هتبرع برئة حد من الثلاثة هيبقى مين؟ مين صحته أحسن ؟ بابا-ماما-رامي. قدامك ٣٠ ثانية بس تجاوبي فيهم يا إما هختار أنا.

فتحت فمي محاولة أن استجدي الكلمات فقاطعني و قال بتظّرف:

- ها؟ ها؟ ياللا يا وجد جاوبي.. ياللا بسرعة.

تسارعت نبضات قلبي و عيناي لا تفارقان الساعة على شاشة الكمبيوتر، و حاولت أن أجيب بأي شيء:

- أ أ..... أأآآ....

- ياللا يا وجوووود الوقت بيخلص.

- آاااا.. ر.. رامي؟

- إجابة غلط يا وجد.. ليه كده ده أنا كنت مراهن عليكي.. طبعاً عايزة تعرفي ليه.

أجبته بالصمت فقال:

- إنتي متعرفيش أن رامي بيشرب سجاير؟

كانت تلك صدمة كبيرة.. فلم يلحظ أحد بالمنزل من قبل شيء كهذا، فرامي ليس ذلك النوع من المراهقين، فلديه اهتمامات أخرى أكثر غرابة، و ليس له من الأصدقاء من يشجعه على ذلك الفعل، فأصدقائه القليلون غرباء الأطوار مثله وربما أكثر غرابة.

تمنيت أن يكون كاذباً، و لكن بعد تفكير أدركت أنه ليس كذلك، هذا الرجل اقتحم حياتي.. عملي.. بيتي‏ عائلتي.. بل و غرفة معيشتي، بالتأكيد هذا الرجل لا يتحدث هراءً، وليست معلومة كهذه بالصعب عليه أن يدركها.

انتبهت لحماقتي.. يبدو أن الموقف أخذ لبّي، فليشرب رامي ما يشاء من السجائر.. فقط فليبق حياً.

قاطعني صوته قائلاً:

- السؤال الثاني.... ترارراااا.... ددوم دودودمم ددوم ددوم..»

صمتَ قليلاً بعد أن أنهى تلك الموسيقى التصويرية المفتعلة ثم قال بجدية:

- وجد... أنتي لازم تركزي.. فيه حياة ناس في رقبتك، يالـلا ؟

السؤال الثاني.. لو هنعد صوابع الأيدين‏ كام صباع في الأوضة دي؟

كنت أنظر إلى الفيديو.. كانت الكاميرا تتحرك لتركز على كل شخص في الغرفة.. أبي ثم أمي ثم رامي.. تجمع ثلاثتهم تلك النظرة الخاوية.

رغم شلل عقلي عن التفكير إلا أنني حاولت ما بوسعي، مستعينة بالآلة الحاسبة على الكمبيوتر..

ثلاثة أشخاص في عشرة أصابع.. بل أربعة أشخاص، بعد أخذ صاحب القناع في الحسبان.. هكذا تصبح النتيجة ٤٠.

- ٤٠؟

صمت قليلاً ثم قال :

- ممم. بصي.... منطقياً صح، بس أنا كان نفسي اقولك إنك صح.. بس للأسف غلط.

أجبت بالصمت و الصدمة، فأكمل قائلاً:

- للأسف الشخص اللي لابس القناع ده عنده ٦ صوابع في ايده اليمين.. هو بيعتبرها عيب خلقي بس أنا بعتبرها ميزة.

لم أتخيل يوماً أن يوجد إنسان بتلك النفسية المريضة المشوهة.

كان لدي بعض التفاؤل والأمل أن تنتهي المكالمة تلقائياً بعد مرور ساعة، و لكن ذلك لم يحدث بالطبع.

- السؤال الثالث...

رأيت (ميجز) و حمدي، مدير آخر، يشيرون إلي باهتمام، ابتسمت و قد شعرت أنه طوق النجاة، ثم أخفيت ابتسامتي حينما تذكرت أنني مراقبة، جاء إلي و هتف ميجز:

- مالك فيه ايه؟

قال ذلك الشئ سريعاً بعصبية و توتر:

- إحنا مش قولنا منقولش لحد عشان مقطعهمش حتت ياكلها الكلب بتاعي. ؟!

ضغط ميجز على زر كتم الصوت قائلاً:

- ما تردي يا بنتي مالك ؟

أحضر سماعته و قام بتركيبها في سماعتي ليسمع الحوار الدائر بيننا، و لكن ما سمعه لم يكن إلا ذاك:

- مش كفاية أنكو بنك حرمية و بتاخدو مصاريف قد كده كل شهر، كمان بتقوليلي إني غلطان و لازم المبلغ اللي حولتيهولي يرجع،طب مين يا بنتي اللي حولهولي مش أنتي؟ و بعدين وأنا أيش عرفني أني مينفعش أتكلم على حساب مراتي، ما أنتي مفهمتنيش كده من الأول أنتي مقلتليش غير بس أما اكتشفتي أنك حولتي و اللي طلب التحويل مش صاحب الحساب. طب أنا مالي يا بنتي؟، و

كـمان أمـا أقولـك عايـز أكلـم مديـر تقوليـلي مـش مـن حقـك، طـب إيـه الـلي مـن حقـي. ؟

***

١:٢٣ p.m

كانت نظرات كلا منهما تستطيع أن تحرقني، خطف مني ميجز ساعتي وقال:

- مساء الخير معاك محمود مجدي مدير خدمة العملاء ازاي أقدر أساعدك؟

ظل ذلك الشئ يتكلم، لم أستطع سماعه ولكني أستطيع توقعه من نظرات ميجز إليّ.

قام ميجز بتفقد الحساب بينما يستمع للعميل، قرأت علامات التعجب على وجهه فنظرت لأجد يده تمتد بالفأرة لتصل للفيديو المصغر بالأسفل. وما أن فتحه حتى ملأ المئات منه الشاشة كأنه تم فتحه مائة مرة في الثانية، و كلهم تم التركيز بهم على ذا القناع الأسود، ثم أظلمت الشاشة فجأة وانطفأ الجهاز بالكامل.

نظـرا لي تلـك النظـرة القـادرة عـلى إحراقـي حيـة، واقـترب منـي ميجـز قائـلاً:

– يعنـي أنتـي أولاً حولتـي مـن غـير مـا تعمـلي**chceks**، حتى أبسـط حاجـة إنـك تتأكـدي إن الـلي بيكلمك صاحب الحسـاب ولا لأ، و كـمان لمـا غلطتـي بتلبسـيه الغلـط و كـمان مـش عايـزاه يكلـم مديـر، أنـا مـش هتكلـم ولا هعمـل حاجـة، بـس عايـزك إنتـي بخبرتـك كـده تقوليـلي إيـه ال **Action** الـلي المفـروض يتاخـد في الحـالات دي؟

لم أعبـأ بـكل ذلـك، فليطـردني إن شـاء، كنـت فقـط أريـد لحظـة هـدوء لأفكـر مـاذا سـأفعل الآن. سـمعت صـوت رسـالة لهاتفـي فتحتهـا لأجـد:

« كلابي جاعـوا وأنـا متأكـد هيعجبهـم طعـم اللحمـة الجديـدة»

كان ميجـز مـازال يتحـدث عندمـا تركتـه و ركضـت للخـارج، حاولـت سـحب المصعـد في جنـون و لكنـه – و للمـرة الأولى– كان مُعطـلاً. نزلـت الـدرج بسرعـة كادت أن تسـقطني، ركضـت للخـارج سريعـاً، دافعـة بيـدي أي شـخص أجـده أمامـي .

ظللـت أركـض باحثـة عـن أي وسـيلة تقلنـي للمنـزل، و لكـن حتـى عينـاي خانتنـي، لم أكـن أبكـي و لكنهـا كانـت تدمـع، أو ربـما كنـت أبكـي، أو ربـما دخـل الهـواء فيهـما، لا أعـرف، لكـن مـا أعرفـه هـو أن الرؤيـة كانـت ضبابيـة.

كان صوتـه اللعـين مـازال يـتردد في أذني: «إحنـا مـش قولنـا منقولـش لحـد عشـان مقطعهمـش حتـت ياكلهـا الكلـب بتاعـي ؟!»

ظللـت أركـض بالشـارع بشـكل غـير متـوازن، و لكنـي أركـض عسـاني أن أجـد أي شـئ، كنـت أركـض عـلى قطعـة مـن الحشـائش، و مـا إن خطـوت بقدمـي عـلى الشـارع العـام حتـى سـمعت صـوت بـوق سـيارة يـكاد يثقـب أذني، نظـرت يمينـي فلـم أسـتطع أن أرى سـوى أضـواء سـيارة.

لم أسـتطع لأني كنـت قـد ارتفعـت عـن الأرض مـن أثـر صدمـة السـيارة، ثـم ارتطمـت بـالأرض.. ولا شيء.



المستيقظ

لم أكـن أبـداً كالآخريـن، لم أهتـم بـما يهتمـون بـه، ومـا يهمني لا يهمهـم، لا أفكـر كالآخريـن، لا أفعـل كالآخريـن، لا أتـصرف كالآخريـن.

عـلى الرغـم مـن أعوامـي الخمسـة عـشر، فأنـا أختلـف عـمّا هـو عليـه أقـراني، أبـدو منعـزلاً للغايـة، فجسـدي الهزيـل و شـخصيتي ذات الطابـع الإنطوائـي لم يسـاعداني عـلى الانخـراط في الحيـاة الإجتماعيـه بالمدرسـة، فـلا أنـا محـط اهتـمام مـن أحـد ولا أسـعى لتكويـن صداقـات، و بالتـالي لا يسـعى أحدهـم لتكويـن صداقـة معـي.

كـما أننـي لا أهتـم مطلقـاً لمـا يهتـم بـه مـن هـم بسـني، فـلا أمـارس أي رياضـة بالرغـم مـن اشـتراكي في أحـد أكـبر النـوادي، ولكنـي أثبـت إخفاقـاً في ذلـك المجـال، وسـاهم

في ذلــك تكوينــي الجســدي الهزيــل، كــما ســاهمت كل تلــك الصفــات في إبعــادي عــن ســباق ملاحقــة الفتيــات الــذي يســعى إليــه الجميــع بالمدرســة و يتفاخــرون بــه، بإختصــار، كنــت إذا ذكــر إســمي بــين الجمــع - نــادراً مــا يحــدث- يقــال عنــي أننــي غريــب الأطــوار.

سعيت كثـيراً لتغيـير تلـك الصفـات و لكنـي فشـلت في كل مـرة، فدفنـت نفـسي في شاشـة الـلاب تـوب، حيـث أصبـح كأحـد أطـرافي التـي خُلقـت بهـا، حاولـت مـن قبـل العبـث بـين أعـماق الإنترنـت المظلـم، و لكـن لم أسـتمر كثـيراً ؛ فأنـا أكثـر جبنـاً مـن أن أسـتمر في ذلـك.

حاولــت الانخــراط في بعــض المنتديــات ذات الطابــع الغامـض بشـخصيات افتراضيـة، كقنـاع أخفـي بـه انزوائـي، و كان أحـد تلـك المنتديـات تتلخـص فكرتـه في جمـع أكـبر كـم من المواقـع الغريبـة و مقاطـع الفيديـو التـي لا تفسـير لهـا، كنـت أبحـث بشـغف و أقـوم برفـع مـا توصلـت إليـه عـلى صفحـات المنتـدى، حتـى أصبحـت عضـواً فعـالاً و قمـت بالتعـرف عـلى مـن يديـرون ذلـك المنتـدى و أصبحـت، و بشـكلٍ مـا، أديـر المنتـدى معهـم.

حتـى ذلـك اليـوم، وجـدت رسـالة مـن أحـد المسـتخدمين بالمنتـدى، كان اسـم المرسـل **90grate**، و هـو اسـم غـير مألـوف

بالمنتـدى و لم أره مـن قبـل، كانـت الرسـالة محتواهـا رابـط، توقعـت أن يـؤدي إلى أحـد المواقـع المحرمـة، ولكنـه كان فقـط **youtube**.

قمت بفتح الرابط، كان لفيديو يظهر فيه الآتي :

يبـدأ الفيديـو بخلفيـة غـير واضحـة و تظهـر عليهـا بعـض العبـارات، و يصحبهـا أصـوات مزعجـة كأصـوات الـرادار و صـوت صفـير مزعـج، وكانـت هنـاك عـدة عبـارات تظهـر في الفيديـو بالإنجليزيـة و تلـك ترجمتهـا:

«من أنت ؟»

« هل أنت عضو مساهم في المجتمع؟»

«جميعنا كذلك»

«أنت لا شئ».

تعجبـت كثـيراً مـن ذلـك الفيديـو و مـن غمـوض فكرتـه، شـاهدته عـدة مـرات آمـلاً في أن أفهـم أي شيء و لكـن هبـاء، لفـت نظـري القنـاة التـي قدمـت ذلـك الفيديـو.

القنـاة اسـمها **awake**. تحتوي عـلى عدة مقاطع مشـابهة، ذات أطـوال متشـابهة؛ حيـث أن أطـول مقطـع بتلـك القنـاة لا يزيـد عـن أربـع دقائـق، و كان ذلـك المقطـع الـذي قمـت بمشـاهدته

هو أول مقطع تقدمه القناة، قمت بمشاهدة الفيديو الذي يليه و كانت فكرته مشابهة مع اختلاف الجمل:

« هل أنت مستيقظ؟»

«اسأل واقعك»

«وجودك هو كذبة»

«تعال معنا»

ثم تملأ الشاشة سطور من الكود الثنائي المكون من رقمي ٠ و ١. هكذا وانتهى الفيديو.

ثم شاهدت الفيديو الذي يليه و كان ذلك محتواه:

يشترك ذلك الفيديو مع الفيديو الأول في تلك الأصوات المزعجة، بل إن ذلك يحتوي على أصوات أكثر ازعاجاً، كانت الخلفية عبارة عن عدة صور غير واضحة تذكرني كثيراً بالصورة في أجهزة التليفزيون القديمة عندما كان الإرسال ضعيفاً فتمتلك الصور على الشاشة بالخطوط التي تسير من أعلى الشاشة لأسفلها، كانت هناك عدة صور يكتب فوقها بعض الجمل، صورة فتاة صغيرة، تليها صورة لفراش، ثم صور أخرى مشوشة و غير واضحة، و تكتب فوقها التالي من الجمل:

«أنت دمية»

«المجتمع فاسد»

«تعال معنا»

«قم بزيارتنا»

و كان هناك فيديو آخر يظهر فيه رجل يرتدي قناعاً على عينيه علامتيّ **x**. و كانت الصورة ترتفع للأعلى و تتكرر تحتها نفس الصورة و هكذا تماماً، كأجهزة التلفاز القديمة حين تتشوش صورتها فنقوم بتحريك عوديّ (الإريال) حتى تثبت الصورة، و كانت في كل صورة تظهر جملة: «و إذا أتيحت لي الفرصة... بكل سعادة سأقوم بهذا مرة أخرى»

كان ذلك غاية في الغرابة، مما أثار فضولي و شغفي معاً و بشدة.

جلست أشاهد معظم تلك المقاطع، و كان معظمها على نفس المنوال، و منهم ما لم يتعد الثواني، و اشترك جميعها في تلك الأصوات المختلطة بالضوضاء الاستاتيكية، كما احتوى البعض على حروف و أرقام لا معنى لها تظهر على الشاشة.

معظم تلك المقاطع تحتوي على أكواد، لماذا إذن؟ أليست الجمل المقروءة غامضة بما يكفي؟ فماذا تضيف الأكواد

إذن؟ ثـم لمعـت في رأسي فكـرة، لمَ لا أبحـث بنفـسي عـن ترجمـة تلـك الأكـواد؟، عـلى الأقـل الثنائـي منهـا.

قمـت بالبحـث عـن برامـج ترجمـة الأكـواد الثنائيـة، و كنـت أقـوم بإيقـاف الفيديـو عنـد المقاطـع التـي تحتـوي عـلى الأكـواد و أقـوم بنقلهـا و ترجمتهـا، فعلـت ذلـك أولاً في الفيديـو الثـاني، و ذلـك مـا وجدتـه:

«هل أنت مستيقظ؟»

«انضم إلينا»

«مجتمع جديد»

و فيديـو آخـر بإسـم «حقبـة» كان بـه ثـلاث جمـل: «حقبـة جديـدة.. تعـال.. هـل أنـت مسـتيقظ».

عندمـا قمـت بالتفقـد أكثـر في القنـاة، وجـدت قنـاة أخـرى مرتبطـة بهـا تحمـل اسـم «**sleeping**». أُنشـئت في نفـس اليـوم الـذي أنشـئت فيـه قنـاة **awake**، و كلاهمـا تـم إنشـاءه في عـام ٢٠١٥، و لكـن تلـك القنـاة لم تحتـوي عـلى أيـة مقاطـع أو أيـة نشـاطات، وظيفتهـا الوحيـدة هـي التعليـق عـلى مقاطـع قنـاة **awake**، و تلـك هـي بعـض التعليقـات التـي أجدهـا أكثـر غموضـاً مـن الفيديـو نفسـه:

«لا يوجد هنا إلا حفنة من أتباع الله..».

ثـم يتبعهـا تعليـق آخـر بكـود لم أتعـرف عليـه مكـون مـن أرقـام و حـروف معـاً، ظللـت أبحـث حتـى عرفـت أنـه نـوع آخـر من الأكـواد، و كانـت ترجمة ذلـك التعليق: «أنـت لا شيء»

كانـت المقاطـع أيضـاً تحتـوي عـلى جمـل بنفـس الكـود، و كانـت معظمهـا لا تخـرج عـن تلـك الجمـل:» اتبعنـا.. هـل أنـت مسـتيقظ؟.... لم لا تقـم بزيارتنـا؟ ... انضـم إلينـا ... نحـن هنـا.. لـن نذهـب بعيـداً ... نحـن نراقـب»

فرغـت مـن مشـاهدة مقاطـع الفيديـو و سـئمت ترجمـة الأكـواد، بعثـت برسـالة ل ٩٠(**grate**) رداً عـلى رابـط القنـاة، قائـلاً: «ممكـن أعـرف ايـه هـدف الفيديوهـات دي أو القنـاة عمومـاً؟ و ليـه بعتهـالي أنـا بالـذات ؟ و هـل بعتتهـا لأي أدمـن تـاني ولا أنـا بـس؟»

الله وحـده يعلـم مـا هـذا، مـن خلـف تلـك القنـاة و مـاذا يريـد أن يخبرنـا، و لكـن ذلـك أضـاف نكهـة جديـدة مـن الإثـارة في تلـك الأيـام المليئـة بالملـل و الروتـين.

***

كم أحب تلك الفترة التي يقذف فيها شغف جديد في بركة حياتي الراكدة، تلك الفترة التي أجد فيها سبباً للإستيقاظ صباح كل يوم. كان اليوم عطلة. انتهزت فرصة خلو المنزل، فقد ذهب كل من أبي و أمي لزيارة أحد الأقارب الذي يمر بوعكة صحية، و ذهبت أختي وجد للعمل حيث تختلف عطلاتها الأسبوعية عن الجميع و تتغير بإستمرار.

كم أعشق الوحدة، خصوصاً بعد فشلي المؤكد في الاختلاط بأي كائن بشري و قد تأكدت أنني وطواط منعزل عدو للحياة الإجتماعية، فحتى علاقتي بأبويّ تقتصر على تلبية احتياجي من المأكل و المشرب و من النقود، و بالطبع تلبية احتياجهم من النقد المستمر لأي شيء يتعلق بي و مقارنتي بأقراني أو بأقاربي أو أي شخص في نفس المرحلة العمرية التي أمر بها، أما علاقتي بوجد أختي فهي قائمة عن الدفاع المتبادل، فلتبق بعيداً كي أبقى أنا بعيدة و ليعش كل منا في سلام.

استغللت الهدوء و الوحدة بالمنزل و قمت بإشعال سيجارة، فقد اكتسبت تلك العادة السيئة من محاولاتي للفت الأنظار و محاولة اللحاق بأقراني لأشبههم بأي شيء، و لمحاولة نفي عن نفسي سمعة الإلتزام، ففشلت في ذلك

و لكنـي لم أسـتطع إيقـاف التدخـين.

فتحـت الـلاب تـوب بينـما أدخـن السـيجارة، لم أرد فتـح المنتـدى الآن ففتحـت اليوتيـوب مبـاشرة و بحثـت عـن القنـاة. وجـدت القنـاة، و لكننـي وجـدت مـن ضمـن النتائـج أيضـاً قنـاة تحليليـة تقـوم بتحليـل المقاطـع بقنـاة **awake** . فتحـت القنـاة، فـإذا بي أجـد مقاطـع تحليليـة أكثـر مـن رائعـة عـن قنـاة **awake**. فالمقاطـع غايـة في التنظيـم و الدقـة معـاً، فتقـوم القنـاة بتحليـل و ترجمـة كل الأكـواد مما وفّـر علـيّ عنـاء الترجمـة عـبر تطبيقـات ترجمـة الأكـواد.

كـما اكتشـفت عـن طريـق تلـك القنـاة التحليليـة اكتشـافاً مهـماً، ألا و هـو أن تلـك الأصـوات المزعجـة المصاحبـة للفيديـو مـا هـي إلا أكـواد صوتيـة تسـمى بالسـبكتوجرام، و كانـت تلـك هـي ترجمـة تلـك الأكـواد بترتيـب المقاطـع:

المقطع الأول:

«أنا مرهق..

هل أنت مرهق؟

نِم!»

المقطع الثاني:

«أنت لا شيء..

اسأل واقعك..

هل أنت حقيقي ؟

نحن حقبة جديدة

انضم إلينا»

أما المقطع الثالث فلم يعمل ولا أدري ما السبب، أما عن المقطع الرابع فكانت تلك ترجمته:

«أنت مازلت لاشيء

إعادة إحياء المجتمع قادمة»

قاطعني عن مشاهدة بقية مقاطع التحليل صوت باب المنزل، فهرعت لفتح النافذة و تهوية الغرفة و التخلص من كل آثار الجريمة، و عزمت على إكمال المشاهدة بعد منتصف الليل و الجميع نيام لأستطيع التركيز.

***

هـا وقـد انتصـف الليـل، و جـاء الوقـت الـذي أنتعـش فيـه كأي وطـواط يسـكن الكهـوف، قمـت بفتـح الـلاب تـوب و فتحـت قنـاة **awake** . كان هنـاك مقطـع قصـير جـداً و عنوانـه بذلـك الكـود، و كان ترجمتـه «البيـت» و كان هنـاك مشـهد لطفـل يتأرجـح عـلى أرجوحـة في حديقـة، و يظهـر كـود آخـر ترجمتـه «مفقـود»، ثـم آخـر ترجمتـه «و يسـتمر الإنتظـار» كان ذلـك مـن السـهل البحـث عنـه و ترجمتـه حيـث كان المقطـع قصـيراً، أمـا المقاطـع الأخـرى و التـي تحتـوي عـلى أكـواد صوتيـة فتحتـاج إلى متابعـة القنـاة التحليليـة.

فتحـت المقاطـع التحليليـة، و إذ بي أجـد المقطـع الثالـث الـذي لم يكـن يعمـل بالصبـاح و هـو يعمـل الآن ولا تشـوبه شـائبة، وكانـت تلـك هـي ترجمـة مقاطـع السـبكتوجرام الخاصـة بـه:

«نحن هنا

لِمَ لا تقم بزيارتنا؟..»

كان الفيديـو التحليـلي يقـوم بعـرض أصـوات السـبكتوجرام مـع الترجمـة الخاصـة بهـا عـلى الشاشـة، و عنـد ذلـك المقطـع أصبـح صـوت السـبكتوجرام أعـلى بكثـير حتـى عـن صـوت الـلاب تـوب الحقيقـي.

« لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً»

حاولت تخفيض الصوت كي لا يستيقظ من بالمنزل، ولكن الجهاز لم يستجب لأي شيء مطلقاً، أما الصوت فكان يتعالى أكثر فأكثر، ولاتزال الجملة تتكرر و تملأ الشاشة

«لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً

لا يجب أن تكون مستيقظاً »

ثم انقطعت الكهرباء، و غرقت الغرفة في العتمة، و بسبب أن اللاب توب الخاص بي لديه عطل في البطارية يمنعه من العمل إلا إذا كان موصلاً بالكهرباء فقط، فقد انطفأ اللاب توب أيضاً، مما أراح أذني من تلك الضوضاء.

لم أتحرك من مكاني حتى تعتاد عيناي على العتمة، و ما أن اعتادت عيناي و هممت برفع اللابتوب من فوق قدميّ

كـي أنهـض و أبحـث عـن هاتفـي لأنـير بـه، حتـى سـمعت صوتـاً بالخـارج كأحـد يتعثـر، ثـم هـدوء ثـم عـاد صـوت الخطـوات مـرة أخـرى. الخطـوات تقـترب لغرفتي شـيئاً فشـيئاً.

وصـل مصـدر الخطـوات لبـاب الغرفـة، و لم أرَ إلا ظـلاً طويـلاً. صامـداً لا يتحـرك. هتفـت :

«بابا؟»

توقعـت أن يكـون أبي لأنـه أطـول مـن بالمنـزل، و لكـن لم أتلـق أي رد، فهتفـت مـرة أخـرى:

«بابا فيه حاجة؟»

لم أجـد رداً، و لكـن سـمعت شـيئاً يسـقط مـن خلفـي فنظـرت خلفـي و لكنـي لم أرَ شـيئاً، نظـرت مـرة أخـرى لبـاب الغرفـة فلـم أجـد الظـل، ثـم عـادت الكهربـاء مـرة أخـرى.

***

في الصباح قابلت أبي على الإفطار، فسألته:

- بابــا مدخلتــش ليــه الأوضــة إمبــارح لمــا النــور قطــع، كنــت بتدورعــلى ايــه؟ أنــا كنــت صاحــي عــلى فكــرة و ناديتــك مردتــش.

رد بتهكم:

- امتى ده؟ أنت كنت بتحلم ولا ايه؟

توجهت لأمي سائلاً:

- ولا أنتي يا ماما؟

ردت باستغراب:

- ولا أنــا.. و وجــد بترجــع مــن الشــغل ترمــي عــلى السريــر مبتقومــش غــير الصبــح مــا أنــت عــارف.

ســهمت قليــلاً محــاولاً إيجــاد أي تفســير لمــا رأيتــه أمــس، حتــى قاطعــت أمــي تفكــيري قائلــة:

- تلاقيه تأثير الأفلام الرعب اللي بتشوفها بليل.

- لأ ده تلاقينــي غفلــت مــن التعــب و اتهيــألي إن حــد في أوضتــي.

فردت بسخرية لا تخلو من اللوم قائلة :

- اه تعبت اوي من المذاكرة ياعيني..

نهضت سريعاً محاولاً إنقاذ نفسي من فقرة اللوم اليومية و التي يكون موضوعها الرئيسي هو فشلي و استهتاري.

***

في منتصف الليل ... حيث الهدوء و الصمت المُحبب، جلست أتتبع قناتي المفضلة الآن **awake**. وفي نافذة أخرى فتحت المنتدى الذي أهملته منذ أن عثرت على القناة، و كما هو متوقع، لم أجد رداً من مرسل الرسالة، قمت بنشر موضوع القناة، كما قمت بنشر المقاطع التحليلية و قمت بإضافة بعض المعلومات و بعض التحليلات الخاصة بي.

لم تمر ثوان إلا و وجدت العشرات من التعليقات و كثير من التفاعل من الأعضاء، كما وجدت كثيراً من الثناء من مديرَيّ المنتدى. فراسلني أحدهما قائلاً:

- جامد الموضوع اللي لسة مشيره ده يا رامي.. جبته منين؟

- ده حد من الأعضاء بعتلي اللينك و مردش عليا.

- غريبة ... ولا أنت مش عايز تقول مصادرك؟...

- لا يا عم عادي ليه يعني.

- طب بقولك ايه.. شد شوية و لو عندك حاجة جديدة ابقى حطها بسرعة.. عدد الأعضاء زادو في آخر اسبوعين و أنت عارف بقى فيه إعلانات.

- بتاكل أنت عيش من على قفايا.

- يا عم حد قلك متاكلش عيش أنت كمان.

ذكرني كلامه بأحد الأصدقاء شديدي الندرة، كان لدي صديق منذ عامين، و كان يشبهني في غرابة الأطوار و الوحدة، و لكنه كان يختلف عني في بعض الصفات، كان عشقه للنقود يولد لديه قدرة على استخراجها من أي مصدر و في أي وقت، لم يكن يوقفه شيء، فدائماً هناك شيء ينجزه هنا أو هناك.

ارتسمت على وجهي ابتسامة و أنا أتذكر حازم و ماديته، بينما كنت أقوم بالتقليب في هاتفي، حتى وجدت رقمه و قمت بالاتصال، انتظرت كثيراً و لم أجد رداً، و ما أن هممت بإنهاء المكالمة حتى سمعت صوتاً يهتف:

- يااااااه.... كنت قربت أنسى اسمك والله.

- ههههه.. عامل ايه يا زووما.

- فل الحمد لله..

تحدثنا و مزحنا لدقائق. ثم قال حازم:

- بس صحيح ايه اللي جابني على بالك؟

- قولي بس أنت لسه شغال في شغل النصب بتاعك ده؟

- يعني على حسب.. ليه؟

- ولسه ليك في الحاجات الغريبة اللي كنا بنشوفها؟

- اه بس فهمني إيه الحوار .

- بص يا سيدي، أنا دلوقتي أدمن في منتدى بتاع حاجات غريبة و فيديوهات غريبة سواء من الديب ويب أو عادي، تمام؟

- و بعدين؟

- المهم المنتدى بدأ ينتشر و بقى فيه إعلانات و كدة، و كل ما المواضيع تزيد و تجيب تفاعل طبعاً الإعلانات بتزيد، و ليك نسبة، و في نفس الوقت لو عندك حاجة بتعلن عنها. فاهم ؟

- طب مانت أهو بقيت تعمل مصلحة زيي.

- لأ مانا لحد دلوقتي مطلبتش نسبة.

- عشان مغفل و هم ما صدقوا.

- سيبك مني، المهم أنت معايا؟

- يا باشا أنا معاك في أي حاجة.

- طب انت لسة بتروح لإبن خالتك إللي عندنا ؟

- هعدي عليه بكره.

- تمام، نتقابل في الكافيه اللي كنا بنقعد فيه.

- امين.

أنهيت المكالمة و شعرت نوعاً من الرضا عن نفسي، حيث تذكرت أنني إنسان لديه ما يشبه الحياة الإجتماعية.

***

في تلك الليلة، كنت نائماً نوماً هادئاً بلا أحلام. حينما بدأ صوت ما يحاول إيقاظي، لم أتبين الصوت جيداً و لم أعبأ به كثيراً، كنت أحتاج للنوم بشدة فتعمدت تجاهله و لم أفتح عينيّ.

و لكن ذلك الضوء الأزرق الطفيف الذي شق ظلام الغرفة لا يمكن تجاهله.

كنت أحاول فتح عينيّ ببطء، و لكن ما جعلني أفتحهما على وسعهما و أتجمد في مكاني هو ذلك الصوت الذي

أعرفه جيداً، و الذي لا يصدر إلا من الأكواد الصوتية من تلك القناة.

قمت جالساً بسرعة على الفراش لأجد الآتي: اللاب توب الموضوع على المكتب الصغير أمامي مفتوح، على الرغم من أنني موقن بأني قمت بإغلاقه الليلة الماضية و لم يكن موصلاً بالكهرباء، مع العلم أن بطارية ذلك الجهاز لا تعمل، فبالتالي لا يعمل الجهاز إلا إذا كان موصلاً بالكهرباء.

لم يكن يعمل فحسب، بل كانت على شاشته تعرض أحد مقاطع قناة **awake** والذي لم أره من قبل، كانت الشاشة تعرض مقطع به حديقة خالية في ظلام الليل، به أرجوحة تتحرك وحدها. و بعض الأكواد تظهر على الشاشة، ثم صورة لشجرة في نفس المكان، و تظهر جملة: «نحن لسنا الأعداء» ثم تظهر كلمة «استيقظ!». ثم تتجمد الشاشة على تلك الكلمة و يعلو الصوت المزعج في الخلفية.

قمت مسرعاً و حاولت الضغط على كل الأزرار و لكنه لا يستجيب، قمت بالضغط على زر الإطفاء و أيضاً لم يستجب.

كان كل ما أسعى له هو إيقاف ذلك الصوت المفزع و السيطرة على ضربات قلبي الذي كاد أن ينتزع من مكانه.

قمـت بفصلـه عـن الكهربـاء فانطفـأت الشاشـة و اختفـى الصـوت أخـيراً، ولكـن كنـت أسـمع ذلـك الصفـير الناتـج عـن انقطـاع صـوت عـالي فجـأة، و كان كل مـا أراه في الشاشـة هـو انعـكاس لملامحـي المرتعبـة، و لكـن بعـد ثـوانٍ مـن التحديق بالشاشـة، كان خلفـي شـخص مـا، كان هنـاك ذلـك الوجـه الأبيـض ذو العينـين المجوفتـين.

كنـت أشـعر بالخـوف و تجمـدت أوصـالي، لم يكـن لـدي الجـرأة حتـى للنظـر خلفـي، أغمضـت عينـي لثـوان و فتحتهـما لأجـد نفـس الـشيء القابـع خلفـي، قـررت أن أنظـر خلفـي و بسرعـة و بالفعـل اسـتدرت بسرعـة و لكـن لم أجـد أي شي. تنفسـت الصعـداء و أغلقـت دفتـي الـلاب تـوب بعنـف قبـل أن أجـد شـيئاً آخـر يفزعنـي.

في تلـك الليلـة لم أسـتطع النـوم، و قـد أنـرت كل أضـواء الغرفـة، حتـى سـقطت نائـماً في النهايـة ولا أذكـر كيـف حـدث.

***

و في اليـوم التـالي فتحـت قنـاة **awake** و وجـدت المقطـع الـذي رأيتـه الليلـة الماضيـة. كان هـو ذاتـه الـذي عُـرِض عـلى الـلاب تـوب و الله وحـده أعلـم كيـف تـم ذلـك، كانـت ترجمـة الكـود في المقطـع هـو: «أنـت في خطـر» و كان عنـوان المقطـع

نفسه «خطر»، تباً لكل ذلك. أعساها أن تكون رسالة موجهة لي؟ و لكن من ورائها؟ رغم خوفي من الأمر برمته و لكن ذلك لم يزدني إلا فضولاً، و على كل حال لم يعد الأمر مجرد فضول بشأن قناة غريبة، بل أنه قد تتدخل بحياتي، لم يعد الأمر اختيارياً، فأنا مُجبر على أن أعرف أكثر.

***

فتحت قناة **awake** و تفقدت أي جديد فيها فلم أجد، فأخذت أقلب في المحتويات، حتى وجدت في القنوات التابعة لها قناتين أخريتين.

الأولى كانت قناة تسمى **ns•mnby**. قمت بتفقدها فوجدت الكثير من المقاطع الغامضة، و لكن معظمها كانت فكرته قائمة على مشاهد من الشوارع على خلفية من الأغاني، كانت الكاميرا ترصد أماكن معينة و كأنها تراقبها.

أما القناة الثانية كانت بإسم **cave of shadwos** . و كانت أشد غرابة، على عكس القناتين السابقين، فتلك القناة مقاطعها تتعدى العشرون دقيقة.

و ذلك هو الفيديو الأول :

يبدأ الفيديو بعنوان القناة و الرمز (اللوجو) الخاص بها، و هي رسمة لكف أبيض عليه علامة **x** فوق خلفية

ســـوداء، يظهــر تحتهــا اســم القنــاة (**cave of shadwos**) عــلى خلفيــة مــن موســيقى غريبــة، موســيقى تبــدو شرقيــة أو عبريــة، و لكنهــا تبــدو مألوفــة للغايــة.

ثــم تظهــر صــورة وجــه مرســوم ببرنامــج الرســام و عبــارة ترحيــب مــن شــخص يدعــى «المراقــب» (**The Overwatcher**).. ذلــك الاســم يشــير إلى الشــخص (أو الشــئ) الــذي يتحكــم في البــث أو قــد يكــون رمــزاً لكهــف الظــلام، ويخــبر المراقــب المشــاهدين: « نحــن نقــدر مشــاهدتكم و لنظهــر لكــم ذلــك ســنريكم هــذا»:

ثــم تظهــر صــورة غــير واضحــة المعــالم، ثــم تختفــي تلــك الصــورة لتظهــر صــورة المراقــب مــن جديــد، و لكــن قبــل أن تختفــي الصــورة المشوشــة تظهــر عبــارة «إنــه يشــاهد». ونفــس العبــارة تظهــر في نهايــة الفيديــو.

الجــزء الثــاني مــن الفيديــو اســمه «أنــت تعــرف أكثــر». الجزء عبــارة عــن مــا يشــبه الفيلــم الوثائقــي، يظهــر فيــه رجــل يبــدو صينيــاً و لكــن لديــه عيــب خلقــي عبــارة عــن شــامة ســوداء عملاقــة للغايــة عــلى أحــد جانبــيّ وجهــه، يعمــل الرجــل كراعــي للغنــم و يهتــم بأبويــه و بتوفــير الــرزق و الرعايــة لهــا، و لكنــه كان يخشــى مواجهــة النــاس لخجلــه مــن ذلــك التشــوه في وجهــه.

حتـى جـاءت قافلـة طبيـة و أخذتـه لتعالجـه، اتضـح أن ذلك لم يكـن مجـرد وحمـة أو شـامة بـل كان توأمـه الملتصـق، كلاهمـا يشـترك في نفـس الجسـد، و لكـن تلـك الوحمـة لم تكـن إلا رأس أخيـه أو جـزء منهـا، تـم اسـتئصال تلـك الـرأس و عـاد الرجـل يحيـا بشـكل طبيعـي، و عـاد لأهلـه وسـط جـو احتفـالي، بعـد البحـث، لم أسـتطع إيجـاد مصـدر المعلومـات بذلـك الجـزء في أي مـكان.

الجـزء التـالي يدعـى الأسـتاذ زرافـة، و ذلـك الجـزء أخافنـي كثـيراً، قمـت بتحليلـه و لكـن لا يوجـد أيـة رسـائل مخفيـة، ولكـن بـه شيء غـير مريـح، الفقـرة تبـدو وكأنهـا للأطفـال، حيـث تظهـر بهـا يـد ترتـدي دميـة تحمـل وجهـاً لزرافـة، كتلـك الدمـى المسـتخدمة في مـسرح العرائـس، و تكتـب جُمـل أسـفل الشاشـة. تحكـي الفقـرة عـن أن تلـك ذكـر الزرافـة – و التـي يطلـق عليهـا في الفقـرة إسـم **Mr Giraffe** – يحـب اللعـب كثـيراً، و قـد اسـتغل غيـاب والديـه و قـام بالعبـث بالمقـص، ثـم يتغـير المشـهد لقطـرات مـن الدمـاء المتسـاقطة و تظهـر عبـارة بـأن ذلـك كان عاقبـة العبـث.

الفقـرة التاليـة تدعـى «النـشرة الجويـة»، و هـي تحتـوي عـلى رسـائل مخفيـة، الفقـرة مـا هـي إلا رسـائل مخبـأة في إطـار نـشرة جويـة تقليديـة تصـف حالـة الجـو، و الفيديـو لا يذكـر اسـم

المنطقة التي يصف حال جوها، الفقرة مملة جداً حتى نصفها، حيث تظهر ثلاث قطع كتابية مختلفة الطول سريعاً في منتصف الفيديو، تلك الجمل كتبت بكود اسمه **46base** وهي لغة حاسوبية مشابهة للكود الثنائي (**binary code**) . و قد قمت بترجمة تلك الرسائل و ها هو فحواها:

«لقد تأكدت.. توقف (المراقب) عن مشاهدة البث الإذاعي، أود التأكد من أن تلك الطريقة جيدة للتواصل بسرية، لذلك فيجب أن ننتظر للبث القادم حتى نعلن عن أي معلومات مهمة.»

نستنتج من ذلك أن المراقب هو شخص حقيقي لديه سلطة من نوع ما. أتمنى أن أحصل على مزيد من المعلومات عن ذلك في البث القادم، و بعد تلك الرسائل تستكمل الفقرة بث الجمل الواصفة لحالة الطقس و الموسيقى.

الفقرة التالية تدعى « استرخاء»، لا شيء غريب هنا، فقط صورة متحركة لغابة على خلفية موسيقية هادئة مع بعض العبارات المادحة، مثل «أنت رائع»، «أنت محبوب»، «تقوم بالطهي بشكل جيد» .

ملاحظة مهمة: تلك الفقرة غير موجودة في البث الثاني.

الفقــرة الأخــيرة تدعــى «ملحوظــات النهايــة»و هــي فقــرة مشــابهة لبدايــة الفيديــو حيــث يشــكر المراقــب المشــاهدين عــلى مشــاهدتهم و يظهــر اللوجــو و اســم القنــاة مــع نفــس الموســيقى الغريبــة. و لكــن قبــل أن ينتهــي الفيديــو تظهــر عبــارة «إنــه يشــاهد» و تختفــي بسرعــة.

ذلــك الفيديــو و القنــاة يثــيران انتباهــي كثــيراً.. أعجبنــي ذلــك كثــيراً، و قمــت بإرســال رابــط القنــاة لصديقــي حــازم. و كان الــرد كالتــالي:

حازم: «ايه ده؟»

- دي قنــاة فيهــا فيديوهــات غريبــة، عايــزك تتفــرج عليهــم و بكــرة أمــا اشــوفك نتكلــم في التفاصيــل.

- ماشي.

شــعرت بالتعــب و ألم في رأسي فأغلقــت الــلاب تــوب و قــررت أن أنــال قســطاً مــن الراحــة.

***

في اليــوم التــالي اســتيقظت متأخــراً، تناولــت شــيئاً خفيفــاً و ذهبــت لــدروسي المملــة بعقــل غــير واعــي، متمنيــاً أن يمــضي الوقــت سريعــاً، وألا يلاحــظ أســتاذ فتحــي - تقريبــاً كان ذلــك

اسـمه- أننـي أتثائـب بمعـدل عـشر مـرات في الدقيقـة الواحدة.

كـدت أن أسـقط نائـماً حتـى سـمعت صـوت الرسـالة عـلى هاتفـي، فتحتهـا فـإذا بحـازم يرسـل لي أنـه ينتظـرني في المـكان المتفـق عليـه، فـرددت بـأني سـأكون هنـاك في خـلال عـشرون دقيقـة.

و بالفعـل، خـلال عـشرون دقيقـة كنـت في المـكان، بعدمـا تصافحنـا و مزحنـا و عاتـب كل منّـا الآخـر لعـدم سـؤالنا عـن بعـض مـن حـين لآخـر، تحدثنـا أخـيراً فيـما جئنـا لأجلـه. فسـألته:

- شوفت الفيديوهات ؟

- مش كلها.. بس شوفت.

- طب و ايه؟

- استغربت.. و مفهمتش حاجة.

- مـا هـو ده.. أنـك متفهمـش حاجـة مـع أن كل حاجـة واضحـة.

- طب و بعدين؟

- ده دورك.. أنـك تحلـل كل حاجـة بالظبـط، حاول تسـتنتج الرسـايل الـلي ورا كل فيديو.

- هحاول

- و قولي ايه اللي حصل.

صمت حازم لدقائق محاولاً إيجاد ما سيقوله، فبادرته قائلاً:

- آه.. و عشان عارفك بتفكر في مصلحتك قبل أي حاجة، هبعتلك دلوقتي أرقام الأدمنز عشان تتفق معاهم.. و أنا كنت مديهم فكرة من قبل ما نتقابل.

- تمام.

***

بعد ساعات من التحدث سوياً في شتى المواضيع، و تدخين الأرجيلة التي كنت لا أقوم بتدخينها إلا معه، افترقنا أنا و حازم على أن نبقى على تواصل و أن يخبرني ما إن توصل لشيء، كان المقهى قريباً ففضلت أن أمشي تلك المسافة للمنزل، خصوصاً وأن الطقس كان منعشاً، نظرت لساعتي فصعقت و تخيلت ما سأتلقاه من والديّ من لوم و عبارات مثل أنني أعتبر المنزل فندقاً للمبيت و تناول الطعام فقط، و أنني مهمل في دراستي و ذلك الطلب اللحوح بأن أبصق على قبرهما ما إن نجحت.

قاطع تفكيري صوت خطوات ظل يلاحقني أينما ذهبت، كان الشارع مظلماً و خالياً. إن أبطأت كانت الخطوات تهدأ و إن أسرعت كانت تسرع، قررت أن ألتفت خلفي بدون سابق إنذار لأفاجئ ذلك الذي يلاحقني،ألتفت فجأة وكان الشارع خالياً، ظللت أنظر للشارع من خلفي للحظات ،لا أحد. و لكن هناك حركة في الأشجار. لعله الهواء، و لكن هناك ظل أسود يتحرك خلف الأشجارحركة طفيفة.

كان ثابتاً واثقاً، تجمدت في مكاني فاقترب مني ذلك الشخص، و كانت ملامحه غير واضحة بسبب الظلام فلم أرَ شيئاً من وجهه، حاولت أن أتحرك و لكن الخوف قام بتجميد أطرافي فلم أستطع أن أحرك طرفاً. اقترب مني الشخص بخطوات ثابتة و واثقة و محددة. لم يصبح بيننا إلا بضعة أمتار ومازال يتقدم نحوي، أصابني ذلك بالهلع فصرت أركض بشدة بدون أن أنظر للخلف، حتى وصلت للمنزل.

دخلت للبناية مسرعاً و أغلقت بوابتها بالمفتاح، ثم استدعيت المصعد. وما أن أصبحت أمام باب الشقة حتى فتحتها بالمفتاح، فلم أرد أن أقرع الجرس و أنتظر حتى يفتح لي أحدهم. دخلت فأغلقت باب الشقة من خلفي بالقفل والمفتاح. تفقدت كل مكان بالمنزل فإذا بالكل نيام. دخلت غرفتي وأغلقتها بالمفتاح ثم ارتميت على الفراش،

كادت رئتـاي تتمزقـان مـن الخـوف و المجهـود معـاً، ظللـت في مـكاني أتذكـر مـا حـدث و أحـاول إيجـاد تفسـيراً لمـا حـدث و التفكـير في مـن عسـاه أن يراقبنـي و مـاذا سيسـتفيد. حتـى غلبنـي النعـاس و سـقطت نائـماً بملابـسي.

***

استيقظت عـلى صـوت الرسـالة، كانـت الغرفـة مظلمـة و وجدتنـي مدثـراً بالأغطيـة، لا أدري إن كنـت قـد اسـتيقظت وفعلـت ذلـك أم أنهـا أمـي مـن فعـل ذلـك، نظـرت في الهاتـف فوجدتهـا الرابعـة فجـراً، و وجـدت الرسـالة مـن رقـم مجهـول، ففتحتهـا.

كانـت عبـارة عـن مقطـع فيديـو، و كانـت الإضـاءة حمـراء، الفيديـو يُظهِـر غرفـة بهـا فـراش و أريكـة صغـيرة يتمـدد فوقهـا شـخص و عـلى قدميـه لاب تـوب. يظهـر عنـد بـاب الغرفـة شـخص طويـل مُقنّـع. يتحـدث الـذي عـلى الأريكـة و لكـن الفيديـو بـدون صـوت، تبـاً إنـه أنـا! أراني أنظـر نحـو البـاب و أحـرك فمي،ثـم يتراجـع الشـخص للخلـف حتـى يختفـي، وينتهـي الفيديـو.

تذكـرت ذلـك اليـوم الـذي انقطعـت فيـه الكهربـاء و رأيـت ظـلاً عنـد بـاب غرفتـي و افترضـت أنـه أبي. تبـاً! مـن

قـام بتصويـري؟ و مـن قـام بإرسـال الفيديـو ؟ و مـاذا يريـد إخبـاري بهـذا؟

كـدت أن أجـن، و في الصبـاح كنـت أجـوب الغرفـة ذهابـاً و إيابـاً، أنظـر إلى الجـدران و الزوايـا. أبحـث بجنـون عـن تلـك الكامـيرا اللعينـة المخبـأة، أبحـث في كل ركـن بالغرفـة، قمـت بإخـراج كل محتويـات الغرفـة للخـارج، رأتنـي أمـي فذهلـت و قالـت:

- ايه اللي انت بتعمله ده!

فرددت و أنا مازلت أخرج محتويات الغرفة:

- مفيش.. شفت فار في الأوضة و بدور عليه.

تركـت مـا بيـدي في الخـارج، ونظـرت فلـم أجـد أمـي، فـما أن سـمعت كلمـة فـأر حتـى اختفـت مـن المنـزل بأكملـه، ابتسـمت وأكملـت مـا أقـوم بـه.

بعـد نصـف سـاعة مـن البحـث، كانـت الغرفـة نظيفـة تمامـاً، لم أجـد في الغرفـة أي شيء يسـتطيع ذلـك المراقـب أن يراقبني به، و لم أجـد في عقـلي أي سـبب أيضـاً، فلـم قـد يهتم أحـد بمراقبتي؟ فأقـرب الأقربـين يروننـي نكـرة، فـماذا يريـد ذلـك الـشيء.؟

***

مـر تقريبـاً أسـبوع و لم أتلـق اتصـالاً مـن حـازم، أرسـلت لـه و كان الحـوار كالتـالي :

أنا : فينك يا بني؟ عملت ايه في اللي انا قلتلك عليه؟

- أوك بشوف.

- طيب

لم أرسـله مـرة أخـرى كـي لا أبـدو لحوحـاً، كـما أن اسـتفادته ممـا قـد طلبتـه منـه تتعـدى اسـتفادتي بمراحـل، و لكـن بعـد مـرور ثلاثـة أيـام أخـرى، أردت أن أعـرف إلى أي جحيـم قـد ذهـب أو عـلى الأقـل سـبب ذلـك التجاهـل، إن كان رأيـه قـد تغـير أو فقـد الاهتـمام بالأمـر برمتـه فليقـل عـلى الأقـل، وهـو أدنـى قواعـد الـذوق، لذلـك قمـت بالإتصـال بـه، و لكنـه أغلـق الإتصـال في منتصـف الرنـين.

مـن أسـباب عـدم اتصـالي بحـازم في السـنوات السـابقة ذلـك التجاهـل وعـدم احـترام المواعيـد و الوعـود و كل شيء، ألقيـت الهاتـف في غضـب و قـررت ألا أحادثـه حتـى يتكلـم.

مكثـت في المنـزل عـدة أيـام، لم تكـن حالتـي المزاجيـة تسـمح بـأي شيء، لم أكـن أحـضر دروس بحجـة أنهـا ألغيـت. حتـى قنـاتيّ **awake** و **cave of shadows** فقـدت الاهتمام بهما. حتى أنني توقفـت عـن التفكـير فيمـن قـام بمراقبتـي، بعـد أن رجحـت

أنـه حـازم كان يريـد العبـث بي و المـزاح معـي لأريـح عقـلي. حتـى المنتـدى، كنـت أفتحـه لدقائـق ثـم أغلقـه مـرة أخـرى.

و لكننـي فتحـت اليوتيـوب لعـلي أجـد أي جديـد، و مـا أن فتحتـه حتـى ظهـر ليـه فيديـو ضمـن المقاطـع المقترحـة. كان مـن قنـاة **awake**. و فتحتـه و كان كالتـالي:

تتجـول الكامـيرا ذات الصـورة الرماديـة المهـزوزة بداخـل منـزل مهجـور و تظهـر تلـك الجمل عـلى خلفيـة مـن الضوضاء الاسـتاتيكية:

« لقد أوجدنا مكاناً..

و قد أتيت برغبتك..

أحضرت أصدقائك..

حاولت أن تغادر..

نحـن فقـط نريـد أن نبـدأ مجتمـع / حيـاة/ عـالم/ حقبـة.. جديـد/ ة..

نحن هنا الآن»

مـا أغـرب هـذا المقطـع. حسـناً، سـأنهي ذلـك العبـث و أنـام الآن.

***

و بعد عدة أيام قررت الخروج للعالم الخارجي، كان أحد دروسي بالمساء و قد قررت أن أحضره، و بالفعل سمعت الدرس بشيء من التركيز، وانتهى الدرس وخرجت من المركز. قطعت جزءً من الطريق على قدميّ، و استغللت هدوء الطريق لأفكر فيما يجب فعله، ثم سمعت تلك الخطوات خلفي، و تقترب بسرعة، لم يكن هناك وقتاً كافياً لأنظر خلفي، لأني تلقيت ضربة قوية على رأسي أدت لتهشيمه تقريباً، ثم أظلم كل شئ.

***

فتحت عينيّ لأجد الرؤية مشوشة للغاية، كل شيء يؤلمني، و خاصة ذراعي و رقبتي، و بالطبع رأسي. لم أذكر شيئاً عن أنني تلقيت أي ضربات في ذراعيّ، فلم كل ذلك الألم؟ أغمضت عينيّ و فتحتهما عدة مرات حتى تحسنت الرؤية، أردت أن أفركهما فلم أستطع، لم أستطع تحريك يدي، وما أن اتضحت الرؤية أكثر حتى استوعبت، أنا معلق من يديّ بسلاسل حديدية و قدماي لا تلمسان الأرض.

كنت في مكان أشبه بمستودع، حيث الحوائط بنية يأكلها العفن، معلق عليها أشياء لم أتبينها. يصدر صوت الضوضاء الاستاتيكية اللعين من كل مكان، أغمضت عينيّ و فتحتهما عدة مرات، لعله حلم، ليتني لم أفعل. فما إن فتحتهما حتى

وجدت أمامي أربعة أشخاص مقنعون، كانوا يرتدون الأسود على وجه كل منهم قناع، ارتدى أحدهم قناعاً أبيض ذا عينين مجوفتين. و ارتدى آخر نفس القناع و لكن كانت هناك علامتيّ **x** على عينيه، و كان قناع الثالث مثلهما و لكنه ذا ثغر مبتسم، أما الرابع فكان يرتدي ذلك القناع ذا المنقار الذي كان يرتديه الأطباء الذين كانوا يعالجون الطاعون قديماً.

يقتربون ... يقتربون مني ببطء، و يتقدمهم سيدهم الذي يرتدي ملابس الطاعون.. الضوضاء الاستاتيكية مستمرة.

سألت بصوت متقطع: «أ.. أنا فين.. و انتو مين ؟»

قال سيدهم بصوت عميق و غريب:

- أهلاً بيك.. المكان اللي جيتو بإرادتك بيرحب بيك.

قلت بغضب ممتزج بالوهن و الخوف، و أنا أحرك السلاسل التي تقيدني:

- إرادتي ايه أنا مجتش هنا.. أنتو اللي جبتوني عايزين ايه؟

كان صوت الضوضاء الإستاتيكية التي تذكرني بالقناة مازالت مستمرة، قاطعها صوت الرجل الذي قال بصوت واثق:

- أنت جيت هنا ... بإرادتك.. أنت اخترت.. و قررت.. و اهتميت.. و تابعت.. و جبت لنا ضيوف.. أصدقاء.

في تلك اللحظة كانت عيناي تجوبان المكان، عندما سقطتا على ما لم أكن أتوقعه.. حازم.

كان مسلسلاً مثلي.. و لكنه كان أسوء بكثير. كان مغشياً عليه أو ربما ميتاً، و لكنه كان يتحرك حركة طفيفة من وقت لآخر فعرفت أنه حيّ، كان وجهه يمتلئ بالدماء فيبدو أنه قد قاوم كثيراُ قبل أن يتلقى تلك الضربات التي أدمت وجهه.

عاد الصوت قائلاً:

- أنت اخترت.. و قررت، كان نفسك تعيش حياة جديدة، تغير نفسك

تغير المجتمع إللي أنت عايش فيه..

طرأ على ذهني فجأة الفيديو الأخير:

« لقد أوجدنا مكاناً..

و قد أتيت برغبتك..

أحضرت أصدقائك..»

أكمل الصوت:

- متحاولش تسيبنا و تمشي..

«حاولت أن تغادر..»

- عشان احنا كمان هدفنا حياة جديدة.. و زمن جديد.. زيك !

«نحن فقط نريد أن نبدأ مجتمع / حياة/ عالم/ حقبة.. جديد/ ة..»

- و هتساعدنا..

«نحن هنا الآن»

و أقترب مني بثقة، ولا أعلم لم شعرت أنه يبتسم تحت القناع.

***

اختفاء

كندا، كولومبيا البريطانية،

٢٤ مارس ١٩٩١.

كان الطقس بارداً و لكن منعشاً. ركض مايكل دونهي على الحشائش، ضم معطفه الأزرق كلون حذائه، ليخفي تحته سترته المفضلة المطبوع عليها سلاحف النينجا، كان مايكل دونهي ذا الأربعة أعوام أزرق العينين، ذا شعر أشقر ينسدل على جبهته.

كان لدى والدته مباراة كرة قدم نسائية ستتم في ملعب مدرسة بلانشارد بارك الابتدائية، و المعروف أيضاً بملعب شارع بلانشارد.

كانت كريستال والدة مايكل تستعد للمباراة، عندما شعرت بغصة في حلقها و انقباض مفاجئ في قلبها بدون

أي مـبرر، حاولـت تجاهـل ذلـك الشـعور و قـد افترضـت أنـه يرجـع لتغيـير هرموناتهـا مؤخـراً.

فاجئها مايكل قائلاً:

- مامــا.. هــل أســتطيع أن ألعــب قليــلاً في الحديقــة مــع الأصدقــاء؟

انحنت لتقابله قائلة بابتسامة شاحبة:

- بالطبــع يــا صغــيري. ولكــن لا تبتعــد، و عندمــا تنتهــي مــن اللعــب ابــقَ مكانــك ولا تتحــرك منــه حتــى يــأتي والــدك ليأخــذك.

- حسناً أمي.

كانت تتابعه بنظرها حتى قاطعها بروس زوجها قائلاً:

- كريستال، ما بك؟ هل أنتِ بخير ؟

حاولت كريستال الابتسام و أومأت برأسها قائلة:

- أجل. بخير.

ركــض مايــكل بعيــداً حتــى وصــل إلى الســور المحــاط بملعـب و نظـر مـن خلفـه، ظـل مايـكل يراقـب صديقـه تيـد الــذي كان يلعــب الكــرة مــن خلــف الســياج. كاد تيــد أن

يـضرب الكـرة حـين وصـل مايـكل فابتسـم لـه تيـد مـن خلـف السـياج، و ركـض تجاهــه ممسـكاً بيـده، ثـم شـده للملعـب ليلعــب معهــم.

بــدأ مايــكل أن يشــعر بالــدفء، حيــث بــدأت الشــمس تسـطع و تدغـدغ بشرتـه الرقيقـة و عينيـه، و كان صـوت لعـب الأطفـال يمـلأ الأرجـاء. قـال تيـد:

- لم لا تلعب معنا؟ فنحن نحتاجك.

ابتســم مايــكل و شــاركهم اللعــب، اندمــج كل منهــم في اللعـب حتـى شـعر مايـكل بالتعـب و الإرهـاق، فجلـس عـلى المقعـد الطويـل المواجـه للملعـب، و عـلى الرغـم من ذلـك، كان يشـعر بالسـعادة، فمايـكل ليـس لديـه الكثـير مـن الأصدقـاء، تخـبره والدتـه دومـاً أنـه طفـل خـاص للغايـة و لديـه مواهـب خاصـة، ربـما لذلـك يبتعـد عنـه رفاقـه و قـد يهابونـه، كاد حينها أن يحـزن و لكنهـا قالـت لـه أن تلـك الموهبـة نعمـة مـن الله لا يهبهـا إلا للمميزيـن مـن الأطفـال مثلـه، و لكـن تيـد يختلـف عنهـم، فتيـد صديقـه حقـاً.

جلـس تيـد بجانبـه و صـدره يعلـو و يهبـط مـن التعـب. قـال تيـد:

- لم أرك لمدة طويلة، لمَ لا تأتي لتلعب معنا دوماً؟

ابتسم مايكل قائلاً:

- كان أبي و أمي مشغولان تلك الفترة.

- هل تذكر الصيف الماضي ؟ لقد نلنا الكثير من المرح معاً، هل تذكر حين سقط جايك على ذراعه بينما كان يحاول أن أجعلني أقوم بأكل الكرة.. و حين ذهب كل منّا إلى المنزل و لم نخبر أحداً.. أحتاج أن أقضي حاجتي، ما رأيك أن تذهب معي إلى الحمام؟

- حسناً

و في الطريق، ظل تيد يستعيد الذكريات مع مايكل الذي كان يضحك بسعادة.

***

في ذلك الحين، كانت كريستال قد أنهت المباراة، جلست على المقعد الطويل لتستريح و مازال الوجوم بادٍ على ملامحها، كانت قد أضاعت الكثير من الأهداف في المباراة، حتى اتهمتها صديقاتها بالتخاذل وعدم التركيز، لم يكن إضاعة الأهداف هو ما يقلقها، بل ذلك الإحساس اللعين الذي لا ينفك عنها، ذلك الإحساس بأن شيئاً ما على وشك أن يحدث.

اعترض بروس زوجها مجال بصرها وقال لها بتلك النظرة التي تعرفها جيداً:

- هل أنتِ بخير ؟

كانت نظراته تحمل الريبة و العتاب في نفس الوقت، فقد كان يدري أن شيئاً ما شوش تفكيرها أثناء المباراة ولا تريد إخباره ما هو، أومأت برأسها بالإيجاب و لكن بدون أن تبتسم.

قال بدون أن تفارق تلك النظرة عينيه:

- سأذهب لأحضر مايكل من الملعب.

أومأت و لم تجب، و مضى بروس في طريقه إلى الملعب.

***

فتح مايكل باب الحمام، حين لاحظ اختفاء صوت تيد، نظر خلفه فلم يجده، نظر أمامه و اتسعت عيناه تعجباً، ثم أغْلِق الباب خلفه فأصدر شهقة و اتسعت عيناه فزعاً و رعباً.

***

ظل بروس يتفقد وجوه الأطفال عسى أن يجد مايكل، كان في البداية يبحث عنه خلف السياج، فعندما لم يجده ظل يجوب الملعب ذهاباً و إياباً بحثاً عنه.

سأل أحد الأطفال الذي كان ينظر إليه بفصول:

– عزيزي هل رأيت مايكل؟

نظر إليه الفتى بعدم فهم فأكمل قائلاً:

– ذلك الفتى الأشقر الذي يرتدي معطفاً أزرق اللون.

أومـأ الفتـى برأسـه يمينـاً و يسـاراً ثـم ركـض بعيـداً، بـدأ القلـق يتملـك بـروس و ظـل يركـض في كل الإتجاهـات و ينظـر في كل الوجـوه، كـما يحـاول أن يرهـف السـمع علّـه أن تلتقـط أذنـاه صـوت ابنـه مايـكل.

توجـه بـروس إلى بعـض العاملـين في الملعـب و سـأله بقلـق وبتوتـر شـديدين:

– هـل رأيـت ابنـي مايـكل؟ مايـكل.. إنـه في الرابعـة.. ذلـك الفتـى الـذي يرتـدي معطفـاً أزرق اللـون.. شـعره أشـقر كثيـف.. هـل.. هـل رأيتـه.

امتلأت عينا الرجل بالحيرة و قال:

– هناك تقريباً العشرات من الأطفال بتلك الأوصاف.

عبـث بـروس بجيـوب سروالـه ثـم أخـرج منهـا حافظـة نقـوده، ثـم عبـث بهـا بتوتـر قبـل أن يخـرج منهـا صـور لمايـكل،

بحــث عــن أحــدث صــورة لمايــكل و أخرجهــا ثــم أراهــا للعامــل قائــلاً:

- هذا هو.. هذا هو مايكل ابني.

تمعن الرجل بالصورة قليلاً ثم رد قائلاً:

- بلى، لقد رأيته اليوم.

رد بروس بلهفة :

- أين رأيته ؟

- »كانـت آخـر مـرة أراه فيهـا كان يتجـه لحمام الرجـال مـع صديقـه.

تركـه بـروس و ركـض سريعـاً لحمام الرجـال، فتـح البـاب بسرعـة و عنـف و ظـل ينظـر يمينـاً و يسـاراً و لم يجـد أي أحـد، دخـل بخطـوات سريعـة للداخـل، لم تكـن كل الأبـواب مؤُصدة تمامـاً. فتـح كل منهـم عـلى مـس حتـى يرتطـم بالحائـط خلفـه، مناديـاً بإسـم صغـيره مـع كل بـاب يقـوم بفتحـه: «مايـكل؟».

قـام بفتـح كل الأبـواب و التأكـد مـن خلـو المـكان تمامـاً مـن أي شخص.

خــرج مسرعــاً وأتجــه لذلــك العامــل مــرة أخــرى، قــال بتوتــر:

- اسمع.. لم أجد أي شخص في حمام الرجال. هل يمكنك أن تخبرني متى كانت آخر مرة رأيت فيها ابني مايكل الذي أريتك صورته ؟

ظهرت على وجه الرجل الحيرة و حاول أن يتذكر، ثم قال:

- لا أدري تماماً.. دعني أتذكر..

نظر الرجل للأسفل و قضب حاجبيه محاولاً تذكر متى رآه بالضبط، بينما كان بروس ينظر له في أمل، و قطرات العرق تتجمع على جبهته على الرغم من برودة الطقس.

حاول العامل أن يتذكر و لكنه لم يستطع، ولكنه تذكر عندما كان زميله يعرض عليه بعض الطعام حينها، فكان في ذلك الوقت كلاً من مايكل و صديقه يمران أمام عينيه، كان ذلك منذ ساعة تقريباً، فقال الرجل لبروس بعد ما توصل لتلك المعلومة :

- كان ذلك منذ ساعة، على ما أتذكر.

نظر بروس لساعته التي كانت عقاربها تشير للواحدة و النصف ظهراً، مما يعني أن آخر مرة تم فيها رؤية مايكل كانت في الثانية عشر والنصف ظهراً.

ركض بروس فجأة بدون أن يوجه كلمة أخرى للعامل، استوقف أي عامل و أي شخص يجده أمامه، صغيراً كان أم كبيراً، و كان نفس السؤال في كل مرة: «هل رأيت صبياً أشقر يرتدي معطفاً أزرق اللون، إنه مايكل ابني». و لم يترك شخصاً إلا و قد أراه صورة مايكل، و لكنه لم يجد إجابة شافية، فلم يره أي من الأشخاص الذي استوقفهم و سألهم، تعتبر أفضل معلومة هي تلك التي حصل عليها من أول عامل يسأله.

فاق كل ذلك الجهد تحمله بمراحل، فكاد قلبه يخرج من ضلوعه نتيجة لذلك الجهد و التوتر، كما أعلنت قدماه إحتجاجهما بأن رفضتا أن تحملاه مرة أخرى، فهوى على أول مقعد رآه أمامه.

كاد أن يصيبه الجنون، فإلى أين عساه أن يذهب؟ و كيف اختفى عن الأنظار فجأه؟

نظر حوله و قد أصابه اليأس، حتى مر أمام عينيه أحد أفراد الأمن، فقام من مقعده بصعوبة بالغة و توجه إلى عامل الأمن، ثم أخرج صورة مايكل من جيب سرواله، ثم استوقف عامل الأمن و سأله بصوت يملأه اليأس، قائلاً:

- هل رأيت ذلك الصبي؟

أمسك الرجل بالصورة و تمعن بها قليلاً. ثم سأل بروس قائلاً:

- متى كانت آخر مرة رأيته بها؟

رد بروس محاولاً أن يجمح دموعه التي كانت على وشك أن تسيل على وجهه، و قال:

- لقد كانت لدى والدته مباراة كرة قدم نسائية، ذهبت هي للمباراة و ذهبت معها لأشاهدها، و لكن قبل أن تبدأ المباراة استأذنها مايكل ليذهب للملعب المقابل ليلعب مع الأطفال هناك. وعندما وافقت زوجتي كريستال ذهب مايكل راكضاً إلى الملعب، و بعد المباراة ذهبت لأبحث عنه و لكنني لم أجده في أي مكان، و سألت كل شخص هناك تقريباً، و لم يره أحد، و لكن أحد العمال قال لي أنه رآه يتجه لحمام الرجال برفقة صديقه، و كان ذلك في الثانية عشر و النصف ظهراً تقريبا، على حسب ما يتذكره العامل.

قال الرجل بعملية :

- و ما اسم ذلك العامل.؟

أجفل بروس و صمت قليلاً ثم قال بتوتر :

- لا .. لا أدري.. فأنا لم أسأله عن اسمه، فكان كل ما يهمني هو العثور على طفلي.

تفهم الرجل قائلاً:

- حسناً لا بأس.

أخرج الرجل جهاز اللاسلكي و قربه من فمه قائلاً:

- روس.. روس.

كان الرجل ينتظر أن يجيبه الطرف الثاني، بينما كان بروس يستند لجزع الشجرة القابعة خلفه حيث شعر أنه سيتهاوى، و كان يفكر في كل ما حدث و يتمنى أن يكون كل ما يحدث مجرد حلماً سخيفاً سيفيق منه بعد قليل.

سأله الرجل قبل أن تأتيه إجابة من اللاسلكي، قائلاً:

- ما اسمه؟

- مايكل دونهي، و أنا والده بروس دونهي، ووالدته تدعى كريستال دونهي.

جاء الصوت من الطرف الثاني قائلاً:

- أجل.

- روس، هنـاك شـخصاً يدعـى بـروس دونهـي يقـر بأنـه لا يجـد ابنـه المسـمى بمايـكل دونهـي . الطفـل أشـقر أزرق العينـين..

ثم نظر لبروس قائلاً:

- وماذا كان يرتدي قبل اختفاءه؟

- لقـد كان يرتـدي معطفـاً أزرق اللـون وتحتـه كانـت سـترة عليهـا رسـوم لشـخصيات كرتونيـة..

نظر للأسفل و همس بحزن:

- كانت تلك هي سترته المفضلة.

لم يسـمعه الرجـل، فقـد كان يقـول لفـرد الأمـن في الجهـة الأخـرى:

- لقـد كان يرتـدي معطفـاً أزرق اللـون يـا روس و تحتـه كانـت سـترة عليهـا رسـومات لشـخصيات كرتونيـة

سـمع بـروس صـوت الطـرف الثـاني يـأتي مـن اللاسـلكي قائـلاً لشـخص آخـر يبـدو و أنـه معـه:

- يوجد طفل مفقود.. قم بإبلاغ جميع العناصر.

شعر بروس بغصة و ألم شديد في قلبه، فلم يكن يتخيل أبداً أن يطلق مسمى «طفل مفقود» على طفله هو، مايكل صغيره.. ففي تلك البلدة الهادئة التي لا تحدث فيها أي حوادث، الراكدة كبحيرة هادئة، و من كل هؤلاء الأطفال، وحده طفله من يتم اختفاؤه. و من كل هؤلاء الأشخاص الذين لا يحدث بحياتهم أي شيء، وحده من يحدث معه كل ذلك.

قال الرجل قاطعاً أفكاره :

- لقد قمت بإبلاغ جميع العناصر عن اختفاء طفلك، نتمنى أن تجده سريعاً، إنتظر معنا.

كاد بروس أن يهوى أرضاً، حين لمح زوجته كريستال التي كانت تبكي و هي تنظر له، لم يكن متأكداً إن كان أحد قد قام بإخبارها أم لا، و لكنه كان يشعر أنها تعلم بطريقة أو بأخرى.

تقدمت نحوه و أمسكت بيديه مستندة، و قالت بصوت باكٍ :

- ماذا حدث؟ أين مايكل؟

كان بروس بالكاد يتحكم في أعصابه و دموعه، رد قائلاً:

- لا أدري، سألت كل شخص وجدته أمامي، كما قمت بإبلاغ الأمن أيضاً، و سينتشر الخبر بين الأفراد جميعاً في خلال دقائق و سيبحثون عنه و يحاولون إيجاده في أسرع وقت.. قد يكون يلعب مع أصدقائه فيكون مختبئاً هنا أو هناك، أليس كذلك ؟

كان يقولها آملاً في أن تجيبه زوجته بالإيجاب، أو أن تقول أنه معتاد على الإختباء لفترات طويلة و أنه يظهر أخيراً. كان يتمنى ذلك رغم أنه يدري جيداً بأنه مستحيل. و لكن وجه زوجته و صوتها لم يكن يخبره ذلك على الإطلاق، فكان كل شيء بها يؤكد اختفاؤه، بل و الأسوأ من ذلك أيضاً. لذلك، أجابته بدمعه أخرى جرت على وجنتها، و قالت له بيأس:

- أتمنى ذلك يا بروس.. أتمناه بشدة. و لكنني لا أشعر بأنه سيحدث.

- كيف علمتِ؟ هل أخبرك أحد؟

قالت بحسرة:

- شعرت بذلك، لقد كنت أعلم منذ البداية، كان هناك شيئاً يخبرني بأن شيئاً ما سيحدث، و لكن لم أصدق.

لم يستطع بروس كبح دموعه بعد الآن، فقد كان يعلم جيداً أن كريستال تعلم وتدري أكثر منه. فهي تعلم كل شيء، لديها ذلك الشيء المميز و تلك الرابطة النفسية الميتافيزيقية الغريبة التي تربطها بمايكل، و التي تزيد بكثير عن تلك الرابطة العادية التي تربط بين الأم و طفلها. جلس بروس و زوجته على مقعد، و كل دقيقة يتملك اليأس منهم أكثر فأكثر مهما حاولوا مقاومته.

***

في خلال ساعات، كان مايكل دونهي يقوم بالبحث عنه حوالي خمسون شخص تقريباً. كما أعلم الزوجان بروس و كريستال الشرطة وبدأوا يقومون بالإجراءات.

و في خلال أيام، بدأت الشرطة تحقيقاتها، و كان اختفاء مايكل دونهي من أكبر التحقيقات في تاريخ كندا في ذلك الوقت؛ حيث أبدت الشرطة تعجبها من اختفاء مايكل بتلك السرعة و في مكان عام في وضح النهار، وعلى بعد عدة أمتار من الأب و الأم أيضاً. و لهذا السبب، قد أقرت الشرطة الكندية أن الحادث - و بنسبة كبيرة- اختطاف و ليس مجرد اختفاء، و ذلك على الرغم من إقرار الأبوين بأن ليس لديهم أي أعداء و ليس من مصلحة أحد اختطاف طفلهما، كما أنها عائلة عادية و ليسوا أشخاص مهمون.

و في الوقت الذي كانت تتم فيه التحقيقات على قدم و ساق، تم توزيع آلاف النسخ من صورة مايكل دونهي في كل مكان، فتجدها معلقة على الحوائط و جذوع الأشجار و ربما تجدها على سيارتك أيضاً، كما تم عرض مئة ألف دولار كمكافأة بمن يعثر على مايكل دونهي. على الرغم من ذلك لم يعثر أحد عليه.

***

قام العاملون بقسم الشرطة بفيكتوريا باستغلال جميع مصادرهم في قضية مايكل دونهي، كما وضع المحققون كل المشكوك بأمرهم تحت المراقبة، و على وجه الخصوص كل من كان له سابقة تتعلق بالأطفال أو بالاختطاف، و لكنهم على الرغم من ذلك لم يتحصلوا على الكثير من المعلومات، فقط كان هناك ذلك الشاهد الذي أقر بأنه رأى في وقت الاختطاف رجلاً يبدو أن عمره يتراوح بين الأربعين و الخمسين عام و كان يحوم حول الملعب، و كان لديه شاحنة بنية اللون يوقفها قريباً من الملعب، بالطبع قامت الشرطة بالبحث عن رجل بتلك الأوصاف و لم يتم العثور على أي شيء.

***

تمـر الأيـام و الأسـابيع، فالشـهور، ثـم السـنين و لم يتـم العثـور عـلى مايـكل دونهـي، أطلـق سـكان البلـده عـلى تاريـخ مـارس ١٩٩١ بفقـدان الـبراءة، حيـث كانـت حقيقـة أن طفـلاً قـد تـم اختطافـه في مدينتهـم الهادئـة بمثابـة صدمـة لسـكان البلـدة، و صـار السـكان يخافـون عـلى أطفالهـم بطريقـة مبالـغ بهـا، فقـد خـاف كل منهـم معتقـداً أن الخطـر لا يبتعـد كثـيراً عـن بيتـه و أطفالـه.

***

في عـام ٢٠٠٦، تقـدم أحدهـم ببـلاغ عـن شـخص يعيـش بكولومبيـا البريطانيـة منـذ عـام ١٩٩١ و هـو يشـبه مايـكل دونهـي كثـيراً، و لهـذا تـم فتـح القضيـة مـرة أخـرى، و ذلـك بعـد عـدة بلاغـات أخـرى، علّهـم يصلـوا إلى مـا قـد حـدث لمايـكل، و لكـن بعـد إجـراء تحليـل الحمـض الوراثـي **DNA** قـد تبـين أنـه ليـس مايـكل دونهـي.

كـما أنـه في الذكـرى العشريـن للإختفـاء عـام ٢٠١١، تلقـت الشرطـة بلاغـاً عـن شـخص يشـبه مايـكل دونهـي، و لكنـه – و للمـرة الثانيـة – أُثبِـت بعـد تحليـل ال **DNA** أنـه ليـس مايـكل دونهـي.

***

٢٠١٥

كان يحاول أن يركض، و لكن بدون أن يتعثر، فإنه لا يريد أن تسقط الكاميرا من يده، و كذلك هاتفه الخلوي المثبت أعلى الكاميرا الذي يبث الأغنية، أغنية جميلة حقاً، يقولون أن الركض قد يخرج ما بداخلنا من مشاعر سلبية، و لكن ما عساه أن يخرج ذلك الركض. أربعة وعشرون عاماً من العذاب، عندما تذكر ذلك العدد حفزه ذلك على الركض بشكل أسرع و لكن تلك المرة بخطوات متعثرة، لا يستطيع كبح دموعه و لابد و أن صوت انتحابه سيكون واضحاً في الفيديو، و لكن لا بأس، فذلك هو الصوت الوحيد الذي يستطيع فمه أن يخرجه، فليبكِ إذن.. وليركض أسرع.. فأسرع.

***

٢٠ اكتوبر ٢٠١٥.

توجه بالكاميرا نحو النافذة، مازال صوت بكاءه يفضحه، في تلك الغرفة التي ينيرها ضوء النهار فقط، أزاح جزءاً من الستائر، أخذ ينظر للحديقة بالأسفل و يبكي، تذكره تلك الحديقة بذلك اليوم، حين رآهما للمرة الأخيرة، مازال يذكرهما جيداً. يتذكر نظراتهما، لمساتهما،

أصواتهما و رائحتهما، الذكرى في عقله واضحة كالشمس، كم يفتقدهما. تلك الموسيقى الدافئة في الخلفية، فلا يستطيع تصوير أي من مقاطعه بدون موسيقى، بل لا يستطيع أن يحيا بدون موسيقى.

أنهى المقطع و قام برفعه على قناته، و تحدث بالشيء الوحيد الذي يعوضه عن لسانه: يديه و لوحة المفاتيح على اللاب توب و قام بكتابة ذلك:

«إنهم في ذاكرتي..

واضحون كالشمس.

إنهم نظيفون..

سوف أعود لاحقاً

فتى ملوث ثلج ٢٠٠٠»

نظر للشاشة قليلاً بعد أن توقفت دموعه، و كاد أن يغلق الصفحة قبل أن يظهر أحد التعليقات من ذلك الاسم الذي يكرهه كثيراً بكود ٦٤ الذي أصبح يستطيع قراءته بكل سهولة: «إنه يقول مرحباً». نظر بحنق ثم أغلق الشاشة بعنف.

***

ركـض في الغابـات مـرة أخـرى بغضـب، ظـل يتذكـر كل مـا مـر بـه رغـم مقاومتـه لتلـك الذكريـات. كان يعيـش كأي إنسـان آخـر، لا يـدري لمَ حـدث ذلـك معـه هـو فقـط.

هـل كان ذلـك بتلـك الموهبـة التـي كانـت والدتـه تخـبره بأنه يمتلكهـا ؟ أيـن هـي تلـك الموهبـة. اندثـرت واندثـرت معهـا مهـارات الأشـخاص الطبيعيـين كالتحـدث، يتذكـر دورة الميـاه الملعونـة مـن حيـث تـم أخـذه، و ذلـك الرجـل المقنـع الـذي و رغـم بشـاعة قناعـه كان موقنـاً أن مـا خبـأه القنـاع أبشـع، عندمـا وضـع عـلى وجهـه قنـاع مماثـل و هـرب بـه، صرخ كثـيراً و بكـى كثـيراً في تلـك الغرفـة، لم يعـرف مـاذا فعـل ليتـم خطفه، لم يتـم حتـى طلـب فديـة أو أي اسـتغلال لوالديـه. فقـط كانـوا يجبرونـه عـلى فعـل أشـياء غريبـة و تمرينـات عقليـة لتنميـة تلـك الموهبـة اللعينـة التـي لم يعـترف أبـداً بامتلاكهـا.

تعـرض للكثـير مـن القسـوة، و لكـن أفظـع مـا حـدث كان في شـتاء عـام ٢٠٠٠. كان مراهقـاً حينهـا في الرابعـة عـشر، حـين تـم إجبـاره عـلى أن يقتـل شـخصاً، و يقطـع جثتـه إربـاً، ترجاهـم أن يوسـعوه ضربـاً كـما تعـودوا أن يفعلـوا، أو أن يقتلـوه، عـلى ألا يجعلـوه يقـدم عـلى تلـك الفعلـة الشـنيعة، و لكـن فعلهـا، ولا يتذكـر إلا يديـه الملوثـتين بالدمـاء و الثلـج و الغبـار.

مـن حينهـا فقـد القـدرة عـلى الـكلام، فـلا يخـرج مـن فمـه إلا البـكاء، و منفـذ أفـكاره و متنفسـه الوحيـد هـو تلـك القنـاة الخاصـة بـه عـلى **youtube**. يبـث مشـاعره عليهـا و لكنـه مجبر أن يكـون كل شـئ مخبئـاً بالإشـارات كـي لا ينـال عقابـه.

وجـد تلـك اللحظـة جديـرة بالتصويـر، فأخـرج الكامـيرا و قـام بالتصويـر مـع الموسـيقى المناسـبة بالطبـع، و لم يجـد اسـماً للمقطـع قـد يكـون مناسـباً أكثـر مـن : «التأمـل في أخطائـي الماضيـة».

***

من مذكرات **ns•mnby** :

اليـوم هـو الذكـرى الخامسـة و العـشرون، فلأمـضِ في طريقـي، و لأمـشِ كثـيراً في الحديقـة ذاتهـا، و لأبـكِ كثـيراً أيضـاً، و لأصنـع مقطعـاً جميـلاً مليئـاً بالشـجن، و لأجعـل اسـم ذلـك المقطـع «ذكـرى».

***

من مذكرات **ns•mnby** :

اليـوم أصبـح النظـام يثـق بي أخـيراً، بعـد أن أسـديت لهـم خدمـة، و قمـت بنـشر الفيديـو عـلى قنـاتي. قمـت بتشـغيله

مـرة أخـيرة للتأكـد مـن أن كل شـئ عـلى مـا يـرام، كان المقطـع بعنـوان «مراسـلة». و قـد شـاهدته عـدة مـرات وقمـت بالتأكـد بـأن كل شيء يسـير كـما حـددت لـه تمامـاً.

و جـدت تعليـق عليـه مـن كهـف الظـلال يقـول فيـه : «شـكراً لتعاونـك، مرحبـاً بـك في النظـام»

جيد إذاً، فتلك الثقة هي الخطوة الأولى لبداية النهاية.

***

لم يفقـد الأبويـن بـروس دونهـي و كريسـتال دونهـي الأمـل بعـد بعـودة مايـكل، فأصبحـت كريسـتال دونهـي مؤيـدة لقضايـا اختفـاء الأطفـال في كولومبيـا و شـاركت في جمعيـات خيريـة تسـاعد في العثـور عـلى الأطفـال المفقوديـن.

كـما تـم إنشـاء جمعيـة خيرية بإسـم «ابـقِ الأمـل حيـاً»، و هي جمعيـة تقـوم بجمـع المسـاعدات لإيجـاد الأطفـال المفقوديـن، و قـد تـم تنظيـم تلـك المؤسسـة بواسـطة كاتيلـين، شـقيقة مايـكل.

و مـا زالـت قضيـة مايـكل دونهـي مفتوحـة لم تغلـق حتـى تلـك اللحظـة، و مـا زال الأمـل باقيـاً..

***

الظلال

إلى ايلايس دويل:

أتمنى أن تكون حياً.

لم أكـن كالآخريـن، كنـت دائـماً مميـزاً، لطالما شـعرت بأننـي لا أمثـل سـنّي إطلاقـاً. فإننـي أشـعر دومـاً بـأن عقـلي يسـبق جسـدي و عمـري بمراحـل، فنـادراً مـا أنسـجم مـع مـن هـم في مثـل عمـري. ففـي الوقـت الـذي يهتـم بـه أقـراني بملاحقـة الفتيـات و مرافقتهـن، كنـت أنـا ألاحـق حبـي الوحيـد : النقـود، فأنـا لا أتـرك أي فرصـة تأتنـي مـن خلالهـا الأمـوال بـدون أن أغتنمهـا، أحيانـاً تكـون تلـك الفـرص مشروعـة و أحيانـاً لا، في الواقـع قمـت بمرافقـة فتـاة منـذ وقـت طويـل، و بالطبـع لم تكن أي فتـاة و حسـب. و قـد حققـت مكاسـب لا بـأس بهـا مـن تلـك البائسـة.

يحبنـي الجميـع و لكـن التعامـل معـي يكـون بحـذر، يطلـق عـلي رفاقـي بالمدرسـة «حـازم المـادي» و أحيانـاً «حـازم النصـاب»، ولم أشـعر بـأي استياء قـط مـن تلـك الألقـاب، فـأن أكـون حـازم النصـاب أفضـل بكثـير مـن أن أكـون حـازم التافـه أو الفاشـل، و حتـماً سيشـعرون بذلـك الـشيء عندمـا أذهـب للمدرسـة بالفـيراري.

حتـى العائلـة، تقـول عنـي والـدتي أننـي ثعلـب وغـد عـلى هيئـة مراهـق، و ذلـك بالطبـع بعـد العديـد مـن المشـكلات التي واجهتهـا بسـببي، ولكـن لا بـأس الآن فلـن تعـاني بسـببي كثـيراً بعـد أن ابتعـدت عنهـا، فبعـد وفـاة والـدي بشـهور تزوجـت أمـي و أنجبـت و تعيـش الآن مـع زوجهـا، أمـا أنـا فرفضـت أن أظـل معهـا و زوجهـا و انتقلـت وحـدي إلى منـزل جـدتي التـي تركتـه لأمـي بوفاتهـا، في البدايـة عارضتنـي أمـي كثـيراً، و لكنهـا في قـرارة نفسـها كانـت تعلـم جيـداً أننـي أسـتطيع العيـش بمفـردي، و حتـى بـدون المبلـغ الشـهري الـذي تعطيني إيـاه، و أيضـاً لتتجنـب مشـاكلي مـع زوجهـا.

هكـذا و صرت أعيـش وحـدي، أهتـم بمشـاريعي السريـة و خاصـة الغـير مـشروع منهـا، بالطبـع لم أكـن أعـرف شـيئاً عـن دراسـتي، فلـن أحتـاج لأن ألتحـق بأفضـل الكليـات لأبحـث عـن وظيفـة، فـما أحصـل عليـه الآن أكثـر بمراحـل

مما سأحصل إليه من أي وظيفة، ولكنني بالطبع لم أرد أن أظل في الثانوية طيلة حياتي، لذلك فكنت أدفع لأحدهم ليعطني أسئلة الامتحانات بإجاباتها، و بالطبع كنت أبيعها لمن يستطيع أن يدفع، و بسعر أعلى مما حصلت عليها به.

و في كل ذلك التجنب من كل هؤلاء، شخص واحد لم يتجنبني، و هو رامي صديقي الأصغر مني بسنة، لم أصادقه لأستغله كالبقية؛ فلا يوجد لديه ما يُستغل لأجله، و لكنه كان يشاركني أحد اهتماماتي القليلة غير تحصيل النقود.

فكلانا يهتم بالغرائب التي لا تفسير لها، و البحث عبر الانترنت عن أغرب المقاطع و المواقع، و قد حصلت على تلك الهواية من أحد المشاريع الصغيرة التي اضطرتني للدخول في الانترنت المظلم، فرأيت هناك ما يشيب له الرأس، و خرجت من التجربة بتلك الهواية، و فرحت حين وجدت من يشاركني إياها و هو رامي. ولكن للأسف تلاشت تلك الصداقة بعد أن قمت بتغيير سكني و انتقلت لمنزل جدتي الذي يبعد عن مدرستي بكثير، فقمت بالتسجيل في مدرسة أخرى.

و لكن أعادني مهاتفته لي لكل ذلك، فبعد استعادة الذكريات، عرض علي عرضاً يجمع هوايتَيّ - ملاحقة النقود و الغرائب - معاً. فتحدث عن منتدى متعلق

بالغرائب و هو أيضاً يعتمد على الإعلانات، حيث أستطيع من خلاله التسويق لتلك المنتجات المريبة كما وصفها. أعجبتني الفكرة. و لحسن الحظ كان هناك أحد أقاربي الذي أقوم بزيارته من حين لآخر لنلعب بجهاز **we** الذي يمتلكه، بالطبع أستطيع شراء واحداً و لكن لا يوجد من يشاركني اللعب، و كان منزله قريباً من منزل رامي، و لحسن الحظ أن زيارتي الشهرية له اقتربت، و كانت تلك الزيارات منتظمة، حيث كنت أبيت ليومين معه، أزور خلالهما والدتي و أعود لمنزلي مرة أخرى.

اتفقت مع حازم أن أقابله في مقهى قريب من منزله، و بالفعل تقابلنا، و شرح لي كل شيء عن المنتدى، و لكن على أن أقوم بتقديم موضوعات عن الغرائب كي أستطيع أن أصبح من ضمن من يديرون المنتدى و أن أعرض منتجاتي.

و رشح لي أحد القنوات الغريبة على اليوتيوب والتي سأقدم الموضوعات عنها، كان ذلك مناسباً لي تماماً، و قد راقت لي الفكرة كثيراً، و خصوصاً لأن المنتدى سيكون غطاءاً ممتازاً لما سأقوم بتسويقه في الحقيقة.



كانـــت القنـــاة بإســـم **cave of shadows**. كهــف الظــلال، فتحـــت أول مقطـــع والـــذي تعـــدى العـــشرون دقيقـــة، كان يبـــدو مـــن الخـــارج و كأنـــه برنامجـــاً ترفيهيـــاً، يحتـــوي في البدايـــة عـــلى فقـــرة تحكـــي قصـــة رجـــل صينـــي ولـــد بتـــوأم ملتصـــق في وجهـــه، ثـــم تليهـــا فقـــرة مريبـــة تبـــدو و كأنهـــا للأطفـــال و لكنهـــا ليســـت كذلـــك، عـــن لعبـــة عـــلى هيئـــة زرافـــة تســـمى **GiraffeMr**، وتنتهـــي الفقـــرة بـــأن يجـــرح الزرافـــة نفســـه و تنتهـــي ببقعـــة مـــن الدمـــاء، و فقـــرات أخـــرى، و لكـــن أكثرهـــم إثـــارة للإهتـــمام هـــي فقـــرة مشـــفرة، و بعـــد فـــك الشـــفرة يتضـــح بإنـــه تحذيـــر مـــن أحـــد العاملـــين بالقنـــاة ممـــن يطلـــق عليـــه (المراقـــب).

كان ذلـــك «البـــث الأول» كـــما يطلـــق عليـــه في القنـــاة، أمـــا عـــن المقطـــع الثـــاني فلـــم يكـــن البـــث الثـــاني كالمتوقـــع، بـــل كان مقطـــع قصـــير بإســـم «شيء مـــا حـــدث» و هـــو عبـــارة عـــن شاشـــة ســـوداء، و صـــوت يقـــول الآتي :

«اســـمي إكزافـــير **Xavier** وســـأخبركم بأخبـــار ســـيئة، تـــم تأجيـــل البـــث الثـــاني، أعلـــم أنكـــم انتظرتـــم كثـــيراً، ولكـــن وقعـــت أحـــداث مريعـــة معنـــا، و حتـــى يـــأتي البـــث الثـــاني، ترقبـــوا..»

و كانت هناك بعض التعليقات استخلصت منها أنه كان من المفترض أن توجد فقرة في البث الثاني تسمى «باحتفال الخريف» و لكنها ألغيت لأن تلك الأحداث المريعة قد حدثت في ذلك الاحتفال.

أما البث الثاني فكان مقسماً لفقرات مشابهة للبث الأول، كانت الفقرة الأولى» أنت تعرف أكثر عبارة عن أسد يهاجم غزالة، أما فقرة الزرافة فكانت تحكي أنه كان يتسكع و نتيجة لذلك هناك من اتبع أثره و قتله، أما فقرة النشرة الجوية والتي احتوت على شفرات في البث الأول فإنها ألغيت، و كان التعليق عليها كالآتي:

«تم حذف الفقرة بسبب أن المادة خاضعة للتحقيق».

لابد و أن ذلك المراقب قد اكتشف أن أحدهم يحاول أن يحذرنا .

أما عن فقرة الاسترخاء فكانت عبارة عن فيديو في ديزني لاند على خلفية موسيقى «**Beware The Friendly Stranger**» «احترس من الغريب الودود» و تظهر على المشهد تلك العبارات» أنت مهم.. أنت مقدر.. أنت شخص موثوق فيه، نحن نحتاجك هنا.. أنت بأمان.. معنا. .تستطيع أن تثق بنا»

أمــا الفقــرة التــي تليهــا فكانــت مكــوّدة بالكامــل، و قــد سـئمت فـك الشـفرات، فبحـث عـلى الانترنـت عـن «تحليـل لقنــاة **cave of shadows** « فوجــدت شــخصاً يســمى إيلايــس دويــل قــد أنشــأ مدونــة لتحليــل تلــك القنــاة، ووجــدت ترجمــة للشــفرة وترجمتهــا:

«أنصــت جيــداً، هــل تســمع هــذا؟ هنــاك أصــوات في الميــاه، إنــه يراقبــك، إنــه يــرى كل شــئ»

قــرأت كل مــا كتــب في المدونــة، و شــاهدت جميــع مقاطــع القنــاة، و هــذا مــا توصلــت إليــه:

– قنــاة كهــف الظــلال ليســت الوحيــدة، فهنــاك قناتــان مرتبطتــان بهــا و همــا **awake** و **ns•mnby** . و الثــلاث قنــوات تحــت مســمى: «النظــام».

– أمــا عــن قنــاة **ns•mnby** فهــي كغيرهــا تحتــوي عــلى مقاطــع قصــيرة غــير مفهومــة، و لكنهــا تبــدو كحكايــة مقســمة عــلى مقاطــع.

– يخبرنــا إيلايــس بتحليلــه قنــاة **ns•mnby** أن صاحبهــا يحتمــل أن يكــون هــو «مايــكل دونهــي» و هــو طفــل خُطِــف بطريقــة غريبــة منــذ خمســة و عشريــن عامــاً و هــو في السادســة.، و لم يعثــر عليــه حتــى الآن.

- يقوم إيلايس دويل بتحليل كهف الظلال عن طريق المدونة و أيضاً قناته الخاصة على اليوتيوب.

- يتواصل إيلايس مع العاملين بالقناة، و جميعهم يحاولون تسريب بعض المعلومات له، و أحدهم يخبره أن «المراقب» سيقتله إن علم بذلك، و بالفعل تنقطع أخبار ذلك الشخص.

- يقول ايلايس في أحد مقاطعه أنه يشعر بأن شخصاً يتتبعه و يراقبه باستمرار.

- يدخل إيلايس على الموقع الرسمي للقناة ليجد هناك لعبة، يفوز في نهايتها بجائزة وهي موقع على **Google maps**.

- يزور ايلايس الموقع و هو فندق مهجور و يجد به صندوقاً.

يفتح الصندوق فيجد به عدة دلائل و رسالة تخبره بأن كل نظرياته عن مؤسس القناة ليست دقيقة، كما يجد رسالة بموعد محدد بأن النظام سيقوم بزيارته.

- يقوم إيلايس - الذي يقيم وحيداً في منزله - ببث مباشر من غرفته على قناته في ذلك الميعاد.

- تظلـم الغرفـة في ذلـك البـث و يخـرج ايلايـس للخـارج بعـد سماع صوتـاً غريبـاً.

- بعدهـا بفـترة يعـود ايلايـس في الظـلام و هـو يتحـدث بطريقـة آليـة بـأن النظـام ليسـوا بأشـخاص سـيئين.

- يظهـر بعدهـا بفـترة البـث الأخـير لقنـاة الظـلال حيـث يظهـر في البـث ايلايـس و هـو مقيـد و يضربـه شـخص يرتـدي قناعـاً أبيـض اللـون، ويخـيّر المشـاهدين إن كانـوا يريـدون أن يـترك ايلايـس حيـاً أم أن يقتلـه.

- يهرب ايلايس و يطلب المساعدة عن طريق مدونته.

ذلـك هـو كل مـا توصلـت إليـه بخصـوص القناتـين، قمـت بترتيـب و تقسـيم مـا دونتـه عـلى أجـزاء، و قمـت بنشرهـا في المنتـدى، كـما بعثـت بإيميـل عـلى الإيميـل الرسـمي لقنـاة كهـف الظـلال و كان محتـواه: «مـن أنتـم بحـق الجحيـم؟»

كنـت قـد قضيـت يومـاً كامـلاً في ذلـك الهـراء، فأغلقـت كل شـئ و نمـت نومـاً عميقـاً.

***

استيقظت في منتصف الليل، كانت هناك.. ظلال تجوب الحائط، حدقت لفترة، حاولت أن أقنع نفسي بأنها مجرد ظلال لحركة الشجر خلف النافذة، و لكنها كانت ظلالاً لأشخاص. أوقدت النور فلم أجد شيئاً، فأيقنت أنني كنت أهذى.

***

كنت في طريق عودتي للمنزل في تمام الواحدة صباحاً، عندما شعرت باتباع أحدهم لي نظرت للخلف أكثر من مرة فلم أجد أحداً، كان الشارع خالياً و مظلماً، فأكملت ركضاً حتى وصلت للمنزل.

في تلك الليلة نمت طويلًا، و استيقظت في مساء اليوم التالي، شعرت بالتعب، و مددت زراعيّ التي ارتضمت بشيء ما، ضغطت على المقبس، وما أن أضاءت الغرفة حتى اتسعت عيناي رعباً، فكان بجانبي على الفراش عشرات من دمية الزرافة الخاصة بفقرة **Mr Girraffe** !!!!

***

لم آكل شيئاً منذ الصباح حتى تلك الليلة، كان أول ما فعلته بعد ما حدث هو أن اطمأننت على ممتلكاتي و النقود المخبأة بخزانتي، فعشرة آلاف دولار ليس بالمبلغ الهين،

فقط احتسيت جالونات من القهوة، و أحضرت معي في غرفتي كل شيء يستطيع أن يُهشم الرأس، و أمسكت بيدي يد الهون المعدنية التي وجدتها بخزانة المطبخ، أوقدت كل أضواء البيت و جلست انتظر.

كنت أتصفح المنتدى، و اليوتيوب أحياناً؛ حتى أقتل الوقت، الساعة الثالثة فجراً الآن، و الوقت يمر ببطء شديد، ظللت أتابع المنتدى حتى انقطعت الكهرباء، تسارعت دقات قلبي حتى ظننته سيخرج من صدري.

سمعت خطوات بالخارج، ليست خطوات لشخص، بل لعدة أشخاص، و مع اقتراب الخطوات تلاشت شجاعتي، فشُلّت أطرافي من الخوف و عجزت أن أفعل شيء إلا أن أغلق شاشة اللاب توب لأخفي ضوئها. جلست ببطء على الأرض بجانب الفراش عسى ألا أُرى.

اقتربت الخطوات أكثر فأكثر، رأيت ثلاثة أشخاص تقريباً يدخلون الغرفة و يتجهون نحوي بثقة، و كأنهم يعرفون مكاني من قبل دخول البيت، جاء أحدهم نحوي و سدد عدة لكمات لوجهي، ثم لم أعد أشعر بشئ.

***

وجد: القرار

٤:٠١ p.m

فتحت عيناي ببطء، كانت الرؤية سوداء، و كنت مستلقية على ظهري، كنت لأظن أنني فقدت بصري لو أن ذلك الشئ الأسود لم يكن يتحرك أمام عينيّ.

كان نفسي ثقيلاً، دقائق وأتضحت الرؤية، كان ذلك الوجه ذو قناع الطاعون أمام وجهي مباشرةً، يفصل بينه و بين وجهي بضعة سنتيميترات. كان منظر القناع مُقبِضاً من بعيد، فماذا وإن كان يحدق بك و ذلك المنقار يكاد أن يثقب عنقك؟

تجمدت و ارتعدت فرائصي من شدة الخوف، لا أستطيع النطق، نفسي يتقطع، يصطدم بوجه ذلك الشئ ثم يرتد في وجهي ساخناً من قرب المسافة.

دقائق من الرعب مرت، ثم ابتعد صاحب القناع واتجه ببطء نحو باب الغرفة، و قبل أن يخرج و يغلق الباب خلفه نظر لي لثوانٍ نظرة لم أتبينها بسبب القناع.

أيقنت أنني في غرفة في مستشفى، ثم انفتح الباب فجأة فأجفلت، و لكنها كانت الممرضة. خرج صوتي متحشرجاً:

«هو إيه إللي حصل ؟»

ردت: « خبطتك عربية، متخافيش عندك شوية كدمات بس و هتبقي أحسن مع الوقت، اللي خبطك جابك هنا و دفع المصاريف و مشي...تحبي أساعدك تدخلي الحمام؟»

أشرت بالإيجاب فساعدتني على دخول الحمام الملحق بالغرفة.

شعرت بإرهاق شديد، نظرت للمرآة لأجد رأسي مضمضة بالأشرطة بالكامل، و هناك بعض الخدوش على أنفي و يدي.

تحسست جيب سروالي لأجد هاتفي و بعض النقود التي أتركها غالبًا في جيبي، تفقدت هاتفي فلم أجد أي مكالمات أو رسائل، ولكن ما صعقني هو أنها تقترب من الرابعة و النصف. قاومت آلام جسدي و أتجهت نحو الباب متجاهلة الممرضة و محاولتها لإستوقافي.

حاولـت أن أتحامـل عـلى نفـسي و أسرع، خرجـت مـن بـاب المستشـفى و أوقفـت إحـدى السـيارات الأجـرة، طـوال الطريـق و أنـا أحـاول الاتصـال بوالـديّ و برامـي، توقعـت أن يكـون الهاتـف مغلقـاً، لكـن الغريـب أن كل منهـم غـير موجـود بالخدمـة مـن الأسـاس.

أدخلـت المفتـاح في البـاب و قلبـي يـكاد يخـرج مـن صدري، خطـوت بحـذر للداخـل، جميـع الأضـواء مضـاءة، ولكـن صمـت تـام. توغلـت أكثـر بالداخـل حتـى رأيـت جـزءً مـن حجـرة المعيشـة، و كانـت تبـدو طبيعيـة، أقتربـت أكثـر لأرى، كـدت أن أدخلهـا، حتـى تلقـى رأسي الضربـة الثانيـة اليـوم، وعـم الظـلام.

***

٧:٠٠ p.m

فتحت عيناي و انتظرت دقائق حتى توقفت الغرقة عن الدوران من حولي، وجدت نفسي بساحة واسعة باردة تشبه الجراچ، ولكن بدون سيارات، و كانت هناك طاولة طويلة يجلس حولها بعض الأشخاص، بينما كنت أنا ملقاة على الأرض.

كان أحد الأشخاص بالغرفة يرتدي بذلة سوداء و يتجول بالغرفة واضعاً يديه بجيوبه، و يبدو إنه سيدهم.

- ازيك يا وجد ... عاملة إيه ؟

كانت ملامحه غير واضحة بسبب الإضاءة، و لكن مما استطعت رؤيته، و من صوته أدركت أنه شاب.

«طبعاً مستغربة من كل اللي حصل و جيتي ازاي.. متقلقيش هشرحلك كل حاجة»

قلت بوهن:

- أنتو مين؟

- إحنا **RTL**.

- انتو من البنك؟ ط...طب ليه ؟

- هسألك سؤال.. إيه رأيك في الدنيا اللي حواليكي دي ؟

- مش.. مش فاهمه..

- هسألك تاني.. لما بتتفرجي على برنامج.. **Talk show**.. و بتلاقي ناس متحمسة أوي لرأي أنتي متأكدة إنه مش رأيهم.. و أنهم مجبرين عليه.. بالترغيب أو بالترهيب، ايه رأيك في إن فيه في مجتمعنا ناس غنية أوي و أصحاب مناصب مهمة و ناس فقيرة و مريضة و معندهمش شغل.. مش بيستفزك منظر الشحاتين في الشارع ؟

كان يتحدث و هو يتمشى في الغرفة، كانت طريقة حديثه تماماً كمدرب في شركة يعلم الموظفين الجدد.

-.... آ.. أكيد يعني.. بس مش فاهمة برضو أنتوا يعني عايزين تعملوا توازن بين الطبقتين و تاخدوا فلوس من الأغنياء تدوها للفقراء لا إيه ؟ وأنتو مين أصلا و أنا دوري إيه ؟

قال بطريقة مسرحية:

- احنـا **RTL.. Red Twilight League** .. منظمـة الشـفق الأحمـر.. أمـا عـن هنعمـل ايـه فمـش زي مـا أنتـي بتقـولي..

نظرت له بعدم فهم فأكمل قائلًا:

- إحنـا هنعمـل تطهـير.. هنخلـص المجتمـع مـن الآلام، هنلغـي كل حاجـة ممكـن تـأذي عنينـا ... ليـه نسـيب طفـل يتعـذب عشـان اتولـد معـاق.. أو عشـان أهلـه مـش قادريـن يصرفـوا عليـه.. أو حتـى حصلتلـه حادثـة أفقدتـه أي حاجـة؟ ليـه ولحـد مريـض و معنـدوش مصـدر دخـل ولا أهـل و مـشرد في الشـارع نسـيبه يشـحت أو حتـى يفضـل في الشـارع كـده ؟ ليـه المجتمـع يتحمـل أعبـاء كل دول؟

- هنساعدهم؟....

- هنقتلهم!

قالهـا بصـوت بـارد بـرودة طلقـات الرصـاص المعدنيـة.. لم يقلهـا بقسـوة أو شر لكـن بـرودة صوتـه وحدهـا قاسـية.. و كان وجهـه - عـلى قـدر مـا أرى - خاليـاً مـن أي تعبـير.

بهـت وجهـي. فعـاد لطريقـة المـدرب مـرة أخـرى قائـلاً و هـو يتحـرك في الغرفـة مـرة أخـرى:

- ده بلغتك على الأقل .. بس إحنا ده عندنا اسمه التطهير،إحنا بنطهر المجتمع من عناصر مش مفيدة و عاملة عبء علينا و زيادة عدد.

- دي جريمة.. أنتوا هتقتلوا..

- إحنا هنخلصهم من آلامهم.. أنتي عارفة كام طفل معاق أو مشوه أو شخص عاطل و ملوش حد حاول ينتحر؟ و بيتراجعوا لأسباب دينية أو عائلية.. إحنا هنحققلهم إللي بيتمنوه.. و هنسيب الأصحاء و اللي يقدرو يفيدونا.. هنمحي كل الأشخاص المعاقين والمشوهين والمرضى النفسيين.. هنعمل اختبارات نفسية و جسدية لكل مواطن عشان نتأكد إنه يستحق الحياة.. طبعاً هنمحي كل حد ليه ميول إجرامية.. و كل اللي مش أصحاء بس ينفع يتعالجوا هنعالجهم على نفقتنا.. كل اللي هيفدنا بس مجتلوش فرصة يتعلم أو يتعالج إحنا هنوفرله ده. عشان كدة بنعمل اختبارات الأول للناس اللي هنعملها تطهير..عارفة الانتخاب الطبيعي؟ إحنا هنعمل انتخاب صناعي.. ...

والبقاء للأصلح..

حركت رأسي بعدم تصديق لهذا الجنون، فأكمل قائلاً:

- طبعاً البنك واجهة.. عشان إحنا لسه مش عايزين الموضوع ده يتعرف دلوقتي.. آه وآسف على المكالمة السخيفة.. ده كان واحد من أفرادنا.

كان عقلي يدور.. لابد و أنه حلم.. أو هذيان بسبب الضربات المتلاحقة على رأسي، قلت:

- بس.. الشخص ده قالي أتبرعله لمستشفى الأطفال.. ازاي و أنت بتقول هت.. هتقتلوهم؟»

كنت آمل أن أكون قد أسأت الفهم و إجابته توضح لي الموقف. لكنه أجاب :

- هما معانا، أنتي مش عارفة إنهم بيقبلوا الحالات اللي نسبة شفائها مش أقل من ٨٠٪؟ نفس المبدأ، عالج اللي ينفع يتعالج و اللي مينفعش سيب الطبيعة تتعامل معاه.

- أنتوا مجانين!! طب أنا ايه المطلوب مني ؟ هقتل معاكوا؟

- مش هتقتلي.. انتي دورك بسيط جدا.. هتجيبلنا ناس يبقو في مكانك دلوقتي كدة.. زي **HR** كدة هتنقي لينا اللي هيشتغل معانا.

- طب ليه أنا ؟

- ليه انتي، قبل ما أقولك ليه هوريكي حاجة.

رفع يده بجهاز تحكم للأعلى فقام البروچيكتور بعرض الصور يا إلهي .. أهذا مجدي (ميجز)، و حمدي أيضاً.. و يسري و ميادة و غيرهم من المدراء، و قليل من الموظفين القدماء بالبنك. أكمل قائلاً:

- أنتي مش لوحدك اللي وقع عليكي الاختيار، كل دول معانا.. بس ليهم أدوار تانيه غيرك. إحنا اخترنالك أسهل حاجة، ليه بقى انتي...؟

أكمل بطريقة مسرحية أشبه بمقدمي المنتجات في الإعلانات، قائلاً:

- إحنا بنختار على حسب معايير معينة: السن، الوزن، السلامة الجسدية، الاسم حتى، الطباع، الطاعة العمياء، الكسل..

- مش فاهمه.

- مديرينك بيقوله عنك إنك مختلفة، شاطرة في شغلك بس مريحة دماغك، مش هامك ال **team** بتاعك أهم حاجة نفسك، حتى مش عاملة نفسك مهتمة زي غيرك، ساعات بتحاولي تضري شغلهم عشان تفضلي أنتي أحسنهم، و كان أهم حاجة عندك في المكالمة متعمليش مصيبة ممكن

تـضرك، مفيـش أي تعاطـف مـع العمـلاء، ولا حتـى عصبيـة عليهـم، طالما محدش بيـضرك، حتـى اللي كلمـك انهـاردة، لما لقيتـي فيـه ضرر هيحصلـك أسـوأ مـن إنـك تخـسري شـغلك مهمكيـش أي حاجـة تانيـة بتفهمـي و تنفـذي مـن غـير أسـئلة، ماشـية بمبـدأ مـش ده الـلي أنتـوا عايزينـه هعملـه و خـلاص، جيتـي عملتـي الانترفيـو لقيتـي المرتـب أكـبر مـن الـلي بيشـتغلو زيـك في شركات تانيـة ب ٣ أو ٤ أضعـاف، مسـألتيش ليـه ولا كان عنـدك فضـول أصـلاً، طالما أنتـي المسـتفيدة يبقـى مـش مهـم أي حاجـة تانيـة، أنانيتـك مهمـة بالنسـبالنا.

تذكـرت ذلـك اليـوم الـذي ذهبـت فيـه للشركـة لأول مـرة للتقـدم للوظيفـة، تذكـرت أنهـم مـن أتصلـوا بي لآتي و أننـي لم أتقـدم للوظيفـة مـن الأسـاس.

تذكـرت تلـك المقابلـة الجماعيـة، و كـم أن بعـض المتقدمـين للوظيفـة كانـوا أكثـر ذكاءً و لباقـة، و رغـم ذلـك تـم قبـولي و رفضهـم، تذكـرت ذلـك المرتـب المبالـغ فيـه بالنسـبة لتلـك الوظيفـة.

أكمل قائلاً:

- ده غـير إنـك ليكـي زمايـل، بـس ملكيـش صحـاب. علاقاتـك كلهـا سـطحية، و ده بيناسـب سريـة المنظمـة.

- طب أنتوا مش خايفين من أنانيتي دي؟مش خايفين أبلغ عنكم؟

ابتسم قائلاً:

- نقطة كويسة.. ممكن تبلغي، بس مش هيتاخد معانا أي إجراء لأن الدولة مدعمانا. الموضوع سري عشان مش عايزينه يتعرف دلوقتي مش اكتر.. ده غير أن ده نظام عالمي بدأ يتطبق في بلاد كتير و حتى في أوروبا .. العالم كله هيتبع في خلال سنة نظام التطهير. ده تأهيل للعالم الجديد.

- طب أنا مش عايزة اعمل كده.

ناداه أحدهم من مكان مظلم لم أنتبه له في البداية، أشار إليه فرد قائلاً: «خلّص»

ثم سمعت مجموعة من الاشخاص يصرخون معاً في هلع، دامت الصرخات بضعة دقائق كدت فيها أن أتبول في سروالي، ثم رأيت تدفق السائل الأحمر على الأرض، ضممت قدماي و انكمشت على نفسي، انتبه إليّ قائلاً :

- متخافيش مش ده التطهير.. ده تخليص حسابات كده..

ثم أكمل قائلاً :

- بصي بقى انتي عندك ٣ اختيارات:

أول اختيـار أنـك تكمـلي معانـا.. هتترقـي و تبقـي **mentor**. هتسـاعدي الـلي لسـة طالعـين و في نفـس الوقـت عينـك عليهـم عشــان تختاريلنــا منهــم نــاس بنفــس المواصفــات، مقابــل مرتـب شـهري أكـتر مـن ١٠ أضعـاف الـلي انتـي بتاخديـه.. و بالـدولار.. ده غـير عربيـة بسـواق لـو عايـزة.

الاختيـار التـاني إنـك ترفـضي و تسـتقيلي تنسـينا خالـص، و طبعـأ مـش هتقـولي لأي حـد، و مفيـش داعـي أقولـك الـلي هيحصـل لـو قولتـي حاجـة.

فيـه بقـى حـل تالـت، و ده فيـه ٢ بـس مغفلـين اختـاروه. إنــك تكمــلي معانــا بنفــس المرتــب الــلي كنتــي بتاخديــه، هتكمـلي شـغل بـس، مـش هتدخـلي معانـا المنظمـة، و طبعـاً مـش هتعـرفي أي حاجـة تانيـة عنهـا، وهتفضـلي تحـت مراقبتنـا.

هاه قررتي إيه ؟

نظرت للدماء على الأرض ثم تذكرت شيئاً :

- بابا و ماما و أخويا..

قاطعنــي قائــلاً: «كويســين.. و هتروحــي تلاقيهــم مــش فاكريــن أي حاجــة مــن الــلي حصــل»

تنفست الصعداء، فقال مبتسماً : «هاه.. قلتي ايه»

***

٨:٠٥ p.m

ركضــت في الشــوارع المظلمــة ،هربــاً مــن ذلــك الجنــون، كنــت أنظـر خلفـي لأجدهـم يقفـون في ثبـات، لم يسـتوقفني أو ينادينـي أي منهـم، ركضـت بـدون هـدف في الشـوارع المظلمـة، بـدأ الطريـق يبـدو مألوفـاً، ركضــت حتــى وجــدت البنــك أمامــي.

وجــدت قدمــي تدفعنــي للداخــل، كان الجميــع ينظــرون إليّ نظـرات بـاردة ذات مغـزى، دخلـت بالمصعـد، لم يسـتجب لأمـري حيـث أبـى إلا أن يصعـد للـدور الخامـس، ذلـك الدور الـذي لم أدخلـه مـن قبـل ولا أظـن أحد قـد فعل،رفـض المصعد أن يسـتجيب لأي إشــارة أخـرى فاضطـررت للخـروج منـه.

كان الــدور خاليــاً لكنــي ســمعت صوتــاً، اقتربــت مــن مصــدر الصــوت و اختبــأت خلــف أحــد الأعمــدة.

وجـدت ذلـك الفتـى سـالم يتحـدث مـع شـخص مـا، لم أرَ إلا ظهـره، سـمعته يقـول:

«سـمعتلك خـبر جديـد.. اختـاروا وجـد.. بـس معرفـش حصـل ايـه بقـى»

رد عليـه الآخـر قائـلاً : «يابنـي مـش خايـف أمـا يعرفـو أنـك بتعـرف عنهـم... بـس أعتقـد هتوافـق زي غيرهـا»

– مغفلـين كلهـم ... هتوافـق و في الآخـر لمـا مهمتهـا تخلص ممكـن يتخلصـوا منهـا.. مـش يمكـن تبقـى مـن ضمـن الـلي هيحصلهـم تطهـير.؟

وضعـت يـدي عـلى شـفتاي لأكتـم الشـهقة، ثـم أسرعـت للسـلم محاولـة ألا أصـدر صوتـاً،لا عجـب مـن تسـميتها بالشـفق الأحمـر، فسـوف نشـهد شـفقاً مخضبـاً بالدمـاء.

في طريقـي للأسـفل، أوقفنـي في منتصـف الـدرج المظلـم (ميجـز)، كانـت عـلى وجهـه ابتسـامة هادئـة و لكـن مخيفـة، قـالي لي: «رايحـة فـين ؟»

ارتبكت قائلة «اآ..نازلة»

قال بهدوء : «قررتي»

– ... مش هقدر، أنا ماشية.

تنحيت جانبا لأمر من جانبه و لكنه استوقفني معترضاً طريقي بجسده قائلاً: « و فين الثمن؟»

- ثمن ايه؟

فقال بنفس الابتسامة المستفزة: «ثمن المعرفة»

- مش فاهمة.

- هم مقالولكيش؟ مش احنا بنساعد الناس اللي هينفع يبقو أصحاء ؟.. فهنحتاج بعض التضحيات، فيه ناس بتحتاج كلية.. قلب.. عين..

ثم اقترب مني أكثر قائلاً: «هاه.. هتضحي بإيه؟»

***

عندما دخلت المنزل و الدموع متجمدة في عيوني، كان أبي و أمي يجلسان معاً في غرفة المعيشة باستسلام و صمت، نظرت أبيهما في ريبة، و لكن ما أن لاحظا وجودي حتى هبّا فزعاً و قالت والدتي :

«ايه ده فيه ايه!» و قال والدي: «مال راسك و ايه الدم ده»

أشرت بيداي محاولة تهدأتهما، قائلة:

- مفيش حاجة أنا عملت حادثة بس، و ودوني المستشفى و ده جرح صغير بس لما اتخبطت في راسي بس أنا تمام.

قال أبي:

- و ليه مكلمتيناش؟

- كلمتكوا كتير بس مكانش مجمع.

قالت أمي بغضب :

- بتهزري يا وجد؟ يعني ايه مكانش مجمع.

- معلش.. انتوا كويسين طب؟

قالت أمي بتعجب :

- اه.. ليه؟

- أصل اول ما فتحت و دخلت لقيتكو قاعدين كدة على الكنبة ساكتين افتكرتكو تعبانين.

- لأ لسة صاحيين بس، أصل بعد الغدا تقلنا أوي كده و نمنا و إحنا بنتفرج على التليفزيون.

كان عليّ أن أتأكد مما قاله ذلك الرجل بأنهم سينسون كل شيء، فعدت أسأل:

- طب و رامي فين؟

- نايم في أوضته.

تركتهم و ذهبت لغرفة أخي، فتحتها ببطء و حذر شديدين، كان بالفعل الصمت و الظلام يسيطران على الغرفة بشكل غير معتاد، فرامي دائم السهر و من غير المعتاد أن ينام في ذلك الوقت، لم أعبأ كثيراً و ذهبت لأغتسل.

و بينما كانت قطرات المياه تنحدر للأسفل على جسدي لتأخذ معها الإتساخ و الإرهاق، تمنيت أن تأخذ معها كل ما حدث اليوم و الذكريات السيئة أيضاً.

ما إن دخلت غرفتي بعد الحمام الساخن و رأيت الفراش حتى أرتميت عليه و كدت أن أبكي فرحاً و شوقاً لرؤيته، نمت بروب الحمام، و تدثرت بالأغطية، تدثرت و لم أعبأ إن غرقت في عرقي فقد كنت أحتمي بها من مخاوفي، و نمت كما لم أنم من قبل.

***

بعد ليلة مليئة بالكوابيس، استيقظت ظهراً، و تمنيت أن يكون أمس مجرد كابوس من تلك الكوابيس، و لكنني تأكدت من أنه لم يكن كابوساً عندما وضعت يدي على رأسي فوجدت الضماد.

دخلت المطبخ و كانت أمي تحضر الإفطار.،و ما أن رأتني أمي حتى قالت:

- أخيراً.. راسك عاملة ايه انهاردة؟

- الحمد لله أحسن.

- عايزين نروح انهاردة لدكتور عشان يقولنا هنغير على الجرح امتى و عشان يكتبلك أجازة .

لم أعرف ماذا أقول، هل أخبرها أنني لن أذهب العمل مرة أخرى الآن أم فيما بعد؟ و ماذا سيكون السبب إن أعلنت ذلك؟ و مؤقتاً حتى أجد إجابات لتلك الأسئلة قلت لها:

- إن شاء الله.

- تفطري إيه ؟

- أي حاجة.. رامي فين ؟

قالت بقلق:

- في أوضته.. جيت أصحيه و أسأله يفطر إيه زعقلي و قفل الباب في وشي، معرفش ماله ده.

ساورني الشك، أيعقل أن يظل رامي متذكراً لما حدث؟

دخلـت غرفتـه بعـد عـدة طرقـات لم أسـمع أي رد عليهـا، لم يكـن رامـي نائـماً كـما قالـت أمـي، و لكنـه كان جالسـاً فـوق الفـراش، عينـاه مفتوحتـان و لكنـه يحـدق في الفـراغ، جلسـت مقابلـة لـه ونظـرت في عينيـه قائلـة:

- رامي.. أنا عارفة إني عمري ما اهتميت بس مالك؟

نظر إلي بلا مبالاة قائلاً:

- تمام.

نظرت للأسفل بخيبة أمل و قلت له في محاولة جديدة :

- طيـب، فيـه حاجـة معينـة حصلـت إمبـارح بالـذات هـي الـلي مدايقـاك؟

- اشمعنى امبارح.؟

قلت بشك :

- أظن إنك عارف.

قال بلا تعبير على وجهه:

- لأ مش عارف.

- طب مفيش حاجة معينة عايز تحكيهالي؟

- لأ

قلت بيأس:

- طيب.

قمت و أتجهت لباب الغرفة بخيبة أمل، و كدت أن أخرج حتى أوقفني صوته:

- وجد أنا عارف كل اللي حصل معاكي.

توقفت و نظرت إليه بدهشة، أغلقت الباب خلفي و جلست بسرعة على الفراش في الجهة المقابلة له و قلت:

- إيه!!!

- عارف□

كان يتجنب النظر في عيناي، و شعرت في عينيه و صوته بالذنب ولا أدري إن كان شعوري صحيحاً، و أكمل:

- نفس العرض اللي اتعرض عليكي اتعرض عليا أنا كمان.

حكى لي قصة القناة و صديقه حازم، حتى اليوم الذي اختطف فيه.

- فتحت عنيا لقتني متسلسل و مربوط من ايديا و متعلق من السقف، و في مكان زي المخزن كده، و قدامي كان صاحبي حازم متعلق ووشه بايظ من الضرب و كله

دم و مغمى عليه. الراجل اللي كان لابس لبس الطاعون ده و صوته غريب عرض عليا انضملهم، و في المقابل مش هيموتوا حازم ولا هيأذوا حد من عيلتي ولا هيأذوني، كمان قالولي أنه لو انضملتلهم هيبقى ليا صحاب كتير و شعبية في المدرسة و في كل حتة، معرفش ازاي هيعملوا كده، طبعاً وافقت.. و لما وافقت طلبوا مني أنقلهم أخبارك.. و.. وإني كمان أحط لبابا و ماما في الأكل مادة معينة أدوهالي.. وقالولي أنك قريب أوي هتبقي معاهم.

كانت عيناي مفتوحتان في عدم تصديق، و قلت له بدهشة و تأنيب:

– و حطيتهالهم؟

– أيوه ما ده كان امبارح..

– و أنت ايش عرفك إن المادة دي مش هتموتهم؟

– هم.. هما أكدولي إنها مش هتموتهم و إنها هتنيمهم شوية بس و أما هيصحوا هيبقو مش فاهمين حاجة و أما يفوقوا منها مش هيفتكروا حاجة.

– و أنت صدقتهم؟ دول كانو خطفينك مش بيحِجّوا معاك.. و بعدين ازاي هيخلوك محبوب و مشهور، هم أشرار و خطرين بس مش سحرة.

– مـا أنتـي كنتـي عايـزاني أفكـر ازاي في الموقـف الـلي انـا فيـه ده..

قاطعته بنبرة مهاجمة:

– مش مصدقة إنك بالأنانية دي.

تحولت نبرة الذنب في صوته للسخرية و التأنيب:

– أنانيـة؟ وأنتـي إيـه ؟ أنتـي عمـرك مـا سـألتيني عـلى حاجة ولا عامـل ايـه ولا حيـاتي ماشـية ازاي ولا مشـاكلي ايـه ولا كان يهمـك أصـلاً.. طـول عمـرك مبتفكريـش غـير في نفسـك.. و بعديـن أنتـي معرفتيـش بالطريقـة الـلي أنـا عرفـت بيهـا.. معتقـدش حـد خطفـك و علقـك مـن السـقف بجنازيـر..

عجـزت عـن الـرد و لم أجـد مـا أقولـه.. و أخـيراً نظـرت في عينيـه قائلـة:

– أنـا آسـفة.. مـش هبقـى أنانيـة تـاني، المهـم دلوقتـي نفضـل مـع بعـض و نشـوف هنعمـل إيـه في الـلي احنـا اتورطنـا فيــه ده..

قاطعني قائلاً بجدية:

– مـش إحنـا لوحدنـا يـا وجـد.. متورطنـاش، لـو كان ده حصـل لغيرنـا كنـا هنبقـى إحنـا الضحيـة.. نبقـى إحنـا القاتـل

أحسن ما نموت إحنا.. أنتي لسه مش فاهمة ؟ يا وجد القنوات دي كانت بوابة للمنظمة. ..... فيه زمن جديد جاي و هياخد معاه كل حاجة نعرفها، في خلال شهور أو سنة أو اتنين أو اكتر العالم كله هيتغير،مش هيبقى فيه غير اللي بيساعدوهم.. اللي هم إحنا، و لو رفضنا هيموتونا.. أو غالباً الأسوء.. هيعملونا فئران تجارب.. أنتي مش عارفة عن النسل الجديد اللي عايزين يعملوه ؟

شعرت برعب شديد عندما تخيلت ما سيحدث، فقلت بأمل :

- طب ليه منعملش إحنا التغيير؟ هنهرب منهم ونهرب الباقي.. أو نفضحهم.

- هنهرب فين ؟ بلد تانية؟ ما ده هيحصل في كل حتة في العالم، بقولك خلال سنة أو اتنين القيامة هتقوم.. هيبقى فيه نسف جماعي للبشر، و لو فضحناهم مين هيصدق الهبل ده؟ ده إذا سابونا أصلاً.. أكيد عندك فكرة اننا متراقبين.

- بس أكيد فيه حل.. أنا هبدأ أحذر الناس.. مش أنت قلتلي أبطل أنانية؟ أنا هحذرهم و هضحي بنفسي..

- يا وجد الناس دول خطر أوي.. ياريتها هتيجي على أنهم يموتوكي.

كانت نظرة عينيه صادقة للغاية حين قال:

- هتتمنى الموت..

قمت واقفة و قلت له :

- خلاص أنا قررت يا رامي..

رد ببرود:

- أنا آسف يا وجد، أنا مش معاكي.

- براحتك..

***

في اليوم التالي لتلك المحادثة بيني و بين رامي، جلست أتصفح الإنترنت و أبحث عن كل ما قاله رامي. شاهدت معظم المقاطع، سواء على قناة **awake** أو **cave of shadows** أو **ns•mnby**. أشعرتني تلك المقاطع بالقشعريرة، ولا أدري حقاً ما السبب، و هل كنت سأشعر بذات الشعور لو أنني لا أعلم ما أعلم و أنا أشاهد تلك المقاطع؟

كانت كل قناة من القنوات الثلاث تجمع مقاطعها في قائمة بعنوان «النظام ١٩٩١ – ٢٠١٦». فهل يعني ذلك أن النظام تم إنشاءه عام ١٩٩١؟

و لكن بعد البحث، وجدت محادثة تم نشرها بين ايلايس و أحد أعضاء النظام. و في تلك المحادثة سأله ايلايس عن العام أو الوقت الذي تم فيه إنشاء النظام، فكان الرد أن النظام لم يتم إنشاءه عام ١٩٩١ بل كان قبل ذلك بكثير و لكن لا أحد يعلم متى بالضبط.

كان هناك مقطع من ضمن المقاطع الملفته على قناة **ns•mnby** مقطع بعنوان «مراسلة». عبارة عن صورة لشخص يرتدي قناع أبيض ذا عينان مجوفتان عليهما علامتي **x** و تظهر بعض الجمل المكتوبة بالأكواد. بحثت في القناة التحليلية التي ذكرها رامي و كان تحليل الفيديو يحتوي على ترجمة لتلك الأكواد، و تلك هي ترجمة الجمل:

«نحن لسنا **swinkin**

نحن النظام

اصرخوا من أجلنا «

و على حسب ما جاء ذكره كتعليق على الفيديو من تلك القناة التحيلية، فإن كلمة **swinkin** تشير إلى شيء يتعلق بأكلة لحوم البشر، حسناً إذاً، فذلك ال **ns•mnby** أو النظام بشكل عام ليسوا من آكلي لحوم البشر و لا علاقة لهم بهم على الإطلاق و هو شيء جيد، و لكن فكرة أنهم ينكرون شيئاً كهذا يدعو للقلق والريبة، فلمَ لا يكونوا شيئاً أفظع بكثير من أكلة لحوم البشر؟ لو كان ما قاله رامي بشأن أن النظام هو**RTL** فهم حتماً الأفظع من أكلة لحوم البشر.

كان بريدي الإلكتروني حينها مفتوحاً بينما كنت أقرأ، قاطع بحثي حينها طلب مكالمة فيديو. فاجئني ذلك كثيراً، فلم أتلق في حياتي أي مكالمة فيديو من قبل، كان اسم المستخدم هو **ns•mnby**، هل يعقل أن يكون ذلك الشيء يراقبني؟

و بعد عدة دقائق من التفكير، ضغطت أصابعي المرتعشة على زر استقبال الطلب.

كانـت الشاشـة مظلمـة في البدايـة ثـم أضـاءت، في غرفـة ذات إضـاءة صفـراء كئيبـة، و حوائـط صفـراء أو هكـذا بـدت في الإضـاءة، جلـس رجـل أمـام الشاشـة في الجهـة المقابلـة، كان يرتـدي عـلى وجهـه قناعـاً أبيـض اللـون، ذا عينين مجوفتـين وفـم مبتسـم ابتسـامة تجمـع بـين السـذاجة و الرعب في نفـس الوقـت، كان يشـبه ذلـك القنـاع الـذي يظهـر في مقاطـع قنـاتيّ **awake** أو**cave of shadows**، و لكنـه لم يكـن عـلى عينيـه علامتـيّ **x**.

كان مظهـره يخيفنـي للغايـة، فشـعرت و كأننـي أشـاهد أحـد مقاطـع **awake** أو **ns•mnby** شـعرت بنـدم شـديد عـلى قبـولي لطلـب المحادثـة.

كان كلانـا صامتـاً أمـام الآخـر، كنـت أنتظـر أن يتحـدث أو يحـدث أي شيء، و مازالـت أمـارات الفـزع ترتسـم عـلى وجهـي أمـام وجهـه الـذي لا أرى منـه شـيئاً.

قمـت بإيصـال سـماعتي الأذن بـتردد، ثـم ثبتـت الميكروفـون عنـد فمـي و لا أدري مـاذا أقـول، فأنـا مازلـت غـير متأكـدة تمامـاً بمـن قـد يكـون هـذا و بـأي لغـة يتحـدث، فقـررت أن أقـول شـيئاً حياديـاً. فقلـت بصـوت مرتعـش:

– هاي.

استمر الرجل في صمته ثم رأيته يكتب على لوح المفاتيح ثم نظر للشاشة مرة أخرى، ثم ظهرت في المحادثة كلمة «**hi**».

صمت كلانا قليلاً، ثم كتب بالإنجليزية :

- أدعى **ns•mnby**

فكرت قليلاً في ما قد يريده مني، صمت مرة أخرى ومازلت أنتظر أن يكمل حديثه.

بعد لحظات من الصمت، كتب مرة أخرى، ثم ظهرت رسالته :

- أردت ففط التحدث معك.

كتبت بعد تفكير:

- من أنت و من أين حصلت على بريدي الالكتروني ؟

- أستطيع الحصول على أي شيء أريده.

صمت قليلاً ثم عاد يكتب:

- أستطيع أن أكون في غرفتك الآن أيضاً.

شعرت بغصة في حلقي، كانت المشكلة تتمثل في طريقته، حيث كان يكتب ببساطة شديدة ولا شيء فيه يوحي

بالتهديـد، فضـلاً عـن حقيقيـة أننـي لا أسـتطيع أن أرى أيـاً مـن ملامـح وجهـه بسـبب ذلـك القنـاع.

سألته:

- حسناً إذاً، من أنت و ماذا تريد.؟

- كل ما أريده هو أن أساعدك؟

- في أي شيء تريـد أن تسـاعدني؟ و مـن انـت ومـن أيـن لـك أن تعرفنـي كـي تخبرني و بإنـك تريد أن تسـاعدني ؟

- لقـد قلـت لـك بالفعـل. اسـمي **ns•mnby**. ليـس اسـمي بالطبـع، و لكـن لنفـترض أنـه كذلـك، فهـذا مـا أُدعـى بـه أو مـا يتـم منـاداتي بـه..

لم تكـن هـذه حيـاتي و لم أخترهـا، و لكـن هـا أنـا ذا، تـم تسـخيري لفعـل أشـياء كثـيرة لم و لـن تتوقعـي أن يقـوم بهـا بـشر، قـام مـن قامـوا باسـتغلالك باسـتغلالي أيضـاً، و تـم إجبـاري عـلى أشـياء لم أرد فعلهـا مطلقـاً.. أشـياء لـو علمـتِ أننـي فعلتهـا لوليـتِ مني فـراراً و رعبـاً. كان أسـهل و أبسـط شيء قمـت بفعلـه هـو القتـل و أنـا مازلـت مراهقـاً، أمـا مـا قمـت بـه بعـد ذلـك فـكان أفظـع بمراحـل.

تـم إذلالي و تعريـضي للمهانـة و التهديـد بـكل شيء و بأفظـع أنـواع العقـاب كـي أرضـخ لهـم و أنفـذ مـا يطلبونـه بـكل السـمع و الطاعـة و بـدون التفكـير حتـى في الإعـتراض.

كـما تـم اسـتغلال كل قـدراتي ليتضخـم ذلـك النظـام يـوم بعـد يـوم، كـبرت و ترعـرت عـلى إيـذاء البـشر و غيرهـم مـن الكائنـات. كنـت و مازلـت سـبباً مـن أسـباب تضخـم النظـام، فلـم يكـن النظـام كذلـك عندمـا عرفتـه لأول مـرة.

صمتت قليلاً أفكر في كل ما قرأته، ثم أخيراً كتبت:

- هل تعني أنك سبباً في وجود ذلك النظام الشيطاني ؟

- لسـت سـبباً في وجـوده، فالنظـام موجـود مـن عـشرات، و ربـما مئـات السـنين.

لم أرد و ظللـت أفكـر قليـلاً فيـما يمكـن أن يقـال، فأكمـل قائـلاً:

- و قـد يكـون لذلـك الكيـان، أو النظـام كـما يطلقـون عـلى أنفسـهم، هـدف آخـر.. هـدف أبشـع و أكثـر إظلامـاً..

شـعرت بغصـة في حلقـي و بـرودة في أطـرافي، مـا عسـاه أن يكـون أفظـع مـن إبـادة معظـم العـالم؟

تــرددت ثــم كتبــت: «مــاذا تعلــم ؟» ثــم تــرددت قبــل أن أرسـلها، ثـم قمـت بمسـح مـا كتبتـه و لم أكتـب شـيئاً بعدهـا. ولدهشــتي كتــب **ns•mnby** التــالي:

- قــد تكــون المعرفــة مؤلمــة حقــاً.. فللمعرفــة ثمــن.. ثمــن باهــظ حقــاً.

كان يــرى ملامــح الدهشــة عــلى وجهــي، و مــع ذلــك لم يعقــب، قمــت بمراجعــة المحادثــة و تأكــدت مــن أننــي لم أبعــث بســؤاله عــما يعلــم، كيــف لــه أن يعلــم بــما لم أقلــه إذاً؟ ربــما تكــون مجــرد صدفــة. أيعقــل أن تكــون كذلــك؟

فكرت فيما يمكن أن يقال، ثم كتبت:

- حســناً، لا تخــبرني أنــك لم تخــتر أن تنضــم إليهــم منــذ البدايــة، فهــذا نتيجــة إختيــارك، لم يجــبرك أحــد أن تنضــم إليهم.

- تــم اختطــافي و أنــا في الرابعــة.. كنــت بــين أبــوي حــين ذبــت مــن بينهــم كــما يــذوب الملــح بالمــاء..

صدمــت ولم أعــرف بــماذا يجــب أن يكــون الــرد، وســادت لحظــات مــن الصمــت، و شــعرت مــن انحنــاء كتفيــه أن تذكــره لذلــك الــشيء قــد أحزنــه، أو ربــما أردت أن أشــعر بذلــك لعجــزي عــن اســتنتاج مــا يشــعر بــه لإختفــاء ملامــح وجهــه خلــف ذلــك القنــاع، و لعــدم ســماعي لنــبرة صوتــه كذلــك.

أكمل بعد لحظات كاتباً:

- قضيت سنوات حياتي معهم.. و تلقيت تعليماً.. «خاصاً».. و حين كنت أثور عليهم أو أرفض أي شيء مما يأمرونني به أتلقى العقاب المناسب. و حين تعودت على معظم أنواع العقاب الذي كنت أتلقاه، كنت أتلقى تهديداً بأن يقوموا بإيذاء

والديّ.. والديّ الذين لم يتوقفا يوماً عن البحث عني و محاولة معرفة مكاني، و لم يكن لديهم شك و لو للحظة بأنني مازلت حياً.. كنت أذهب ليلاً لأراقب منزلهم... تذكرت حينها بعض مقاطع قناة **ns•mnby** التي احتوت مشاهد لمنزل في المساء، على أنغام الموسيقى كالعادة.

أكمل **ns•mnby** :

- كان ذلك أقصى ما يمكنني القيام به، كان النظام على علم بكل تحركاتي بالطبع.. و لكن لم يعترض أحد على ذلك.

طرأت على ذهني فكرة، فسألت:

- لماذا لا تتحدث معي بصوتك؟ أليس لديك ميكروفون؟ أريد أن أسمع صوتك.

ظـل صامتــاً لدقائــق، و لمــس لوحــة المفاتيــح بــتردد ثــم ابتعـد بيديـه، ثـم أخـذ يكتـب ثـم مسـح مـا كان يقـوم بكتابتـه، ثـم نظـر للشاشـة لدقائـق ثـم كتـب ثـم مسـح مـا كتبـه مـرة أخـرى، و أخـذ يكتـب و يمسـح مـا يكتبـه عـدة مـرات، حتـى أرسـل أخـيراً التـالي:

- أنا لا أتكلم.

انتظـرت قليـلاً علّـه يضيـف أي تفسـير، و حينـما وجدتـه لا يحـرك سـاكناً أمـام الشاشـة كتبـت مسـتفسرة:

- مـاذا تعنـي بقولـك أنـك لا تتحـدث؟ أتعنـي بذلـك أنـك لا تريـد أن تتحـدث معـي الآن ؟

صمت قليلاً ثم كتب:

- لا.. ليــس الأمــر كذلــك، أنــا لا أتكلــم.. أعنــي، لا أســتطيع التحــدث.

- أتعني الآن ؟

- لا بل أقصد في العموم..

- لا أفهم.

- أســتطيع أن أســمع بشــكل جيــد للغايــة، و لكننــي لا أســتطيع التحـدث و يرجـع ذلـك لمشـكلة نفسـية عـلى مـا

أظـن.. منـذ عـدة أعـوام، أرغمنـي بعـض أفـراد النظـام عـلى شـئ سيء للغايـة.. لمـدى لا يمكنـك أو يمكـن لأي شـخص تصـوره و منـذ ذلـك الحـادث و لا أسـتطيع أن أنطـق ببنـت شـفة.

ظلـت أفكـر فيـما يمكـن أن يقـوم بـه شـخص مما يجعلـه يفقـد القـدرة عـلى النطـق، فكتبـت:

- هل تم إجبارك على أن تقتل شخصاً؟

- أسوأ.

فكـرت فيـما يمكـن أن يكـون أسـوأ مـن أن يرغمـك أحدهم عـلى أن تقتـل شـخصاً، حتـى قاطعـت تفكـيري كتابته:

- تـم ذلـك بالفعـل، فقـد أرغمـوني عـلى أن أقتـل شـخصاً.. قتلـت المئـات في الواقـع، و لكـن تلـك كانـت هـي المـرة الأولى، حـين لم أمتثـل للأوامـر للمـرة الأولى ؛ فقـد كان ذلـك يفـوق احتـمالي. حينهـا أرغمـوني عـلى قتلـه، ثـم لمعاقبتـي عـلى مخالفـة الأوامـر في بدايـة الأمـر، جعلـوني أقـوم بأكلـه.. كامـلاً.

ذهلـت و أقشـعر جسـدي و شـعرت بالغثيـان، أردت التأكـد إن كان ذلـك مـا يقصـده حقـاً، فكتبـت :

- أتعني بأكله.. حقاً أكله ؟

- جعلوني أقوم بأكله.. كاملاً، و كلما فقدت الوعي حاولوا إفاقتي لأكمل الوجبة الشهية.

- و لم كل ذلك؟ ما يمكن أن يكون أبشع من أن تأكل شخصاً قمت بقتله للتو؟

- الأبشع هو قتل عائلتي، بل أنهم قاموا بتهديدي بأن يقتلوا أختي كي يتعذب أبواي أكثر، حيث أنهم بذلك سيكونا فقدا كلاً من ابنهما و ابنتهما، و قد يأتوا بثلاثتهم ليقوموا بتعذيبهم أمام مرأى عينيّ. أو الأسوأ على الإطلاق.. أن يجعلني أقوم بأكل لحومهم وشرب دمائهم..

لا أدري لم ذكرني ذلك بما كان الرجل في المكالمة يحدثني به عندما كان يقوم بتهديدي، حين ذكر شخصاً تم إجباره على شرب دماء أفراد أسرته الذين قاموا بقتلهم، و بدت تلك المكالمة بعيدة للغاية و منذ وقت طويل.

صمت أفكر في حديثه.

بدت لي تلك المنظمة الملعونة أخطر مما تبدو عليه، وبدا ذلك الهدف الذي تسعى إليه بريئاً للغاية مقارنة بما تبدو عليه المنظمة، فإن كان هدفهم هو إنشاء مجتمع جديد يمتلك قدرات أفضل، فلمَ تلك الوحشية والسادية

و الدموية إذاً؟ فيكفي فقط الإبادة.. القتل وحسب يكفي.

انتبهت لعلامة استفهام أرسلها **ns•mnby** ليقطع صمتي، فطرأ على ذهني سؤال:

- لماذا أنت؟ دوناً عن كل الأطفال يتم اختطافك أنت، ألا تتفق معي أنها مصادفة غريبة بعض الشئ؟

- لا أدري لماذا أنا، كانت أمي تخبرني بأنني طفل خاص و لدي هبة ما، ربما لذلك السبب. وربما حدث ذلك لسوء حظ مني ليس أكثر من ذلك، و ربما لسبب آخر لا يعلمه غيرهم.

غرقت في الأفكار، حينما قاطعني مرة أخرى:

- لم أحاول التوصل إليك لنتحدث عني، و برغم ذلك فمازال هناك الكثير مما لا تعرفينه عني.. كل ما أريده هو أن أساعد أخيكِ.

- و كيف ستساعده؟

- حسناً.. هناك عرض سيتم عرضه على أخيكِ يتضمن ذلك العرض أن يسافر معهم لمقر المنظمة.

- كيف سيتم ذلك ؟ و ماذا سيقول لوالديّ؟ وأين سيقيم وما المدة التي سيقيمها هناك؟

- لا أدري، لا يعلـم أي منهـم بأننـي علمـت بذلـك العرض، و لكنهـم سـيقومون بذلـك بـأي طريقـة. قامـوا بتخديرهـم مـن قبـل فلـن يـترددوا في فعـل شـيئاً آخـر ليذهـب معهم.

- ماذا تعني؟ ماذا سيفعلون؟

- لا تقلقـي، لا أظـن أنهـم سـيقومون بإيـذاك والديـكِ... مـا أريـد إيصالـه لـك هـو أنـه يجب أن يكـون حـذراً معهـم، لا أعلـم مـا سـيفعلونه في تلـك الرحلـة و لا أضمـن لـك أي شيء.. فرحلاتهـم تلـك مريبـة للغايـة..

كان **ns•mnby** منهمـكاً في الكتابـة و رأسـه منكـب عـلى لوحـة المفاتيـح، لذلـك لم يـرَ ذلـك الشـخص الـذي دخـل فتـح بـاب الغرفـة و دخـل بهـدوء، كان ملتحفـاً بالسـواد و يغطـي وجهـه قنـاع يشـبه ذلـك الـذي عـلى وجـه **ns•mnby**، و لكـن عـلى عينيـه علامتـيّ ....

كتبت له بسرعة :

- احذر.. هناك شخصاً خلفك.

كان الرجـل يتقـدم ببـطء و يقـترب مـن **ns•mnby** بهـدوء، بعـد لحظـات مـن الكتابـة، أرسـل **ns•mnby** :

- احــذري إنــت أيضــاً، أخبريــه بــأن يحافــظ عــلى ثبــات أعصابــه قــدر الإمــكان، ففــي تلــك الســفرة قــد لا يعــود، و إن عــاد فســيصبح الأمــر أســوأ بكثــير، فــإن عــاد فســيعود شــخصاً آخــر لا تتمنــى أن تتواجــدي معــه بنفــس المــكان.

في تلك اللحظة أرسلت له:

- ألتفت خلفك.

ظل **ns•mnby** محدقاً بالشاشة بعدما قرأ ما أرسلته، بينما

كان الشــخص يقــترب بهــدوء شــديد، لم يلتفــت **ns•mnby** و كتــب:

- ألم أخبرك ما هي الهبة التي امتلكها؟

اقــترب ذراع الرجــل مــن رقبــة **ns•mnby** والــذي بــدون أن يلتفــت أمســك بذراعــه قبــل أن تلتــف حــول رقبتــه، ثــم ألتفــت لــه و ســدد لــه عــدة ضربــات، حتــى انتهــى الأمــر برقبــة الرجل بــين يــدي **ns•mnby** الــذي أرســل بيــد واحــدة:

- يبدو و أنه تم اكتشاف ما أقوم به..

تذكري ما قلته لك.

ثـم ألتفـت للرجـل الـذي كان يحـاول أن يحـرر رقبتـه، ثـم و بحركـة واحـدة فصـل رقبتـه عـن جسـده. كان يتحـرك بسرعـة شـديدة حتـى بـدا غـير واضحـاً عـلى الشاشـة، ثـم انقطـع الإتصـال.

ظللـت محدقـة بالشاشـة غـير مصدقـة لمـا قـد حـدث للتـوّ. و لكـن صدمتـي لم تطـل كثـيراً حيـث أصبـح كل شيء عاديـاً بعـد حـادث الاختطاف.

***

الأحجية

كانـت تلـك هـي المـرة الأولى التـي أرى فيهـا ثلوجـاً بعيـداً عـن ثلاجـة منـزلي، كانـت طبقـة رقيقـة مـن الثلـوج ترقـد عـلى ورقـات الأشـجار عـلى وشـك أن تـذوب لارتفـاع درجـات الحـرارة نسـبياً. عـلى الرغـم مـن أن الطقـس كان منعشـاً، كـدت أن أتجمـد، فمـن بـين تلـك المجموعـة كنـت أنـا الوحيـد غـير معتـاد عـلى ذلـك الطقـس.

بينـما أنـا مُسـاق بـين الأشـجار، في غابـة لا أعلـم بـأي بلـد تكمـن، أحـاول أن أتذكـر كيـف تـم الأمـر بتلـك السرعـة، و كيـف اقتنـع والـديّ بفكـرة سـفري للأسـكندرية لمراجعـة دروسي مـع صديقـي مـن المرحلـة الإعداديـة مـازن، في جـو هـادئ مريـح للنفسـية، و خصوصـاً بعـد رؤيتهـم لحالتـي النفسـية التـي كانـت تسـوء يومـاً بعـد يـوم، بـدون أن يعلمـوا لذلـك سـبباً واضحـاً.

لى الرغم من تحذيرات وجد المستمرة لي، لم يكن لدي خياراً لأرفض، فتهديداتهم كانت واضحة، و صادقة كذلك، لم أكن لأرفض أبداً.

و ها أنذا أُساق في غابات مع أشخاص أخشى أن أعرفهم ولا أعلم بأي بلد أنا.

ظللت أسير في الغابة التي ظننت أنها لا تنتهي، لم أكن أشعر بأطرافي من شدة البرد، و أخيراً انتهت الغابة، لا لم نخرج للطريق، بل أنني سقطت في حفرة طويلة ممهدة للأسفل، و بدون سبق إنذار، و بجانب تلك الحفرة، سار بقية المجموعة بسلاسة و دون أدنى إهتمام بشخص كان معهم و ابتلعته الأرض ابتلاعاً.

ابتلعتني الحفرة كثقب أسود، كانت طويلة و لكن ممهدة، فلم تنحدر للأسفل مباشرة و لكن انحدارها كان تدريجياً إلى حداً ما. ما أن لامست الأرض قليلاً حتى نظرت للأعلى، كان ضوء النهار يتسلل مما بدا من فتحة الحفرة.

أردت أن أهتف لأي منهم و لكن لا أعلم أي أسماء، أردت أن أطلب المساعدة و لكن لا أعلم أين أنا و بأي لغة يتحدثون، صرخت:

- هاااااااااي.

لم يلبي النداء سوى تردد صوتي في المكان، كررت:

- هاااااااااااااااااااااي..

لم أسمع سوى صدى الصوت و بعض قطرات الماء.

نظـرت في هاتفـي، لم يكـن هنـاك تغطيـة بالطبـع في تلـك الحفـرة.

صرخـت و هتفـت حتـى تمزقـت حنجـرتي، و ظلـت هكـذا حتـى بـدأ الضـوء يـزول، أردت التوغـل للداخـل و استكشـاف أي مخـرج و لكننـي آثـرت أن أنتظـر حلـول الظـلام لأبـدأ في استـهلاك ضـوء الهاتـف الـذي لـن يسـتمر معـي للأبـد.

ومـا أن حـل الظـلام حتـى أنـرت الهاتـف و بـدأت التوغـل للداخـل، ممـرات داخـل ممـرات بـلا نهايـة، يـكاد قلبـي يتوقـف مـن الخـوف، أنـا هنـا تحـت الأرض وحـدي في بلـد لا أعـرف لهـا اسـماً ولا يوجـد مخلـوق يعـرف بمـكاني، لا أريـد أن أتخيـل مـا قـد أصادفـه في تلـك الأنفـاق.

بينـما أبحـث عـن أي مخـرج و أنـير الطريـق بشاشـة هاتفـي، لاحظـت تغـير في إضـاءة الهاتـف. نظـرت لـه و يـا للعجـب. رسـالة بالبلوتـوث لهاتفـي!

حقيقــة أننــي وحــدي بذلــك النفــق مخيفــة حقــاً، و لكــن حقيقــة أننــي لســت وحــدي أكثــر رعبــاً بالتأكيــد.

كان اســم المرســل جملــة بالإنجليزيــة، و هــي : «هــل أنــت مســتيقظ؟» و هنــاك اختيــار واحــد فقــط : «OK»

ضغطــت عــلى ذلــك الخيــار، فــإذا بشاشــة الهاتــف يحتلهــا مقطــع فيديــو، كان المقطــع مظلــم للغايــة، فلــم يســاعدني عــلى رؤيــة محتوياتــه إلا تعــود عينــيّ عــلى الظــلام، كان المــكان بالمقطــع عبــارة عــن غرفــة مظلمــة قــذرة، عــلى جدرانهــا شيء قاتــم اللــون، ربــما كان دمــاء. وهنــاك كيــان أســود يتحــرك في الغرفــة، لم أتبــين ماهيتــه مــن الظــلام، كان هنــاك صــوت مخيــف يصــدر مــن المقطــع، صــوت يجمــع بــين غمغمــة مخيفــة و أصــوات طــرق عشــوائية، بينــما كان ذلــك الــشيء يتحــرك في الظــلام ظهــرت جملــة مكتوبــة بالأحمــر بالأســفل : «احــذر المســتيقظ». كانــت الجملــة تختفــي و تظهــر بسرعــة و كأنهــا إنــذار، ثــم ابتعــدت الكامــيرا عنــه و اقتربــت نحــو الحائــط المظلــم واختفــت الجملــة للحظــة و ظهــرت مكانهــا جملــة أخــرى: «حــرر نفســك». و توقفــت الكامــيرا عنــد ركــن الغرفــة مــن الأســفل - أو هكــذا بــدا في الظــلام - ثــم انتهــى الفيديــو و ظهــرت الصفحــة الرئيســية للهاتــف و كأن شــيئاً لم يكــن، قلبــت محتويــات الهاتــف رأســاً عــلى عقــب لم أجــد شــيئاً.

ركضت بيأس عسى أن أجد مخرجاً كانت هناك أفعى طويلة على جدار النفق على يساري. تجمدت أطرافي، لم أستطع التحرك أو التنفس، كتمت أنفاسي حتى مرت بجانبي في لحظات مرت كساعات، ما أن ابتعدت الأفعى حتى ركضت، كنت أتصبب عرقاً رغم برودة أطرافي، لاحظت أن النفق يتجه يميناً أكثر فأكثر، داعبني الأمل فتحاملت على نفسي و ركضت أسرع، حتى اصطدم ضوء الهاتف بحائط.

تداعت قواي و عزفت قدماي عن حملي، جلست مسنداً إلى جدار النفق و بكيت في يأس. سوف أمت هنا إذاً.

سمعت صوتاً غريباً، حاولت التركيز قليلاً، صوت طرقات و أشياء أخرى، حاولت النهوض بصعوبة و اقتربت ببطء من مصدر الصوت مستنداً بيدي على الجدار، حتى صار الصوت واضحاً، استغرقت عدة دقائق لأدرك أنه نفس الصوت المصاحب للفيديو.

اقتربت حتى اتضح الصوت و الرؤية معاً، إذا بي أجد باب ذا قضبان حديدية، رائحة الممر كريهة، و لكنها ازدادت سوءاً عندما اقتربت من ذلك الباب.

كانت يدي ترتعش بالهاتف الذي يضيء الطريق، مما جعل المشهد أكثر رعباً مع ارتعاش الضوء.

كانت غرفة ضيقة أشبه بزنزانة، بها رجل ضخم البنية، يتحرك ذهاباً و إياباً داخل الغرفة، يرتدي ملابس متسخة، أما عن وجهه فكان ملطخاً بالدماء مليئاً بالندوب، و كذلك ما بدا من ذراعيه.

ألتفت إلي بحركة مفاجئة و بسرعة غير منطقية، كانت عيناه الخضراوتان بهما نظرة وحشية غير آدمية و مليئة بالغضب، و كان مكشراً عن أنيابه بشكل أشبه بالحيوانات، حيث كشف أسناناً مدببة كالذئاب و شبه سوداء، كان صدره يعلو و يهبط بشدة، و كانت تلك النظرة في عينيه كفيلة بتوقف قلبي.

ازداد جنون عيناه و بسرعة جنونية ركض تجاهي و هو يصرخ بصوت مليء بالحشرجة كصوت احتكاك إطار سيارة مسرعة بالأسفلت، توقف قلبي تماماً عندما رأيته يقترب نحوي بتلك السرعة، و لكنه توقف فجأة على بعد خطوتين منّي، أيقظتني رائحته و التي لم تختبر أنفي أبشع منها.

كان يرجع خطوات للخلف ثم يتقدم نحوي بقوة أكبر و يتوقف بشكل مفاجئ عند النقطة ذاتها. خالط التعجب خوفي و لكن سرعان ما زال التعجب بعد أن رأيت قدمه اليمنى مقيدة بسلسلة حديدية صدئة في الحائط، ما هذا بحق الجحيم و من فعل به هكذا؟

كان يمد كلا ذراعيه محاولاً الإمساك بي، بينما ألتصقت بالجدار، و ما أن ابتعد للخلف ليعيد الهجوم حتى قررت أن أعود من حيث ما جئت، و بالفعل حاولت استجماع كل ما تبقى من قواي لأركض، و لكنني لم أرَ بالطبع ذلك السائل اللزج على الأرض أمامي و الذي لم أعرف ما هو، انزلقت قدمي وسقطت أرضاً، أمام قدميه مباشرة.

و بكل سهولة، رفع جسدي الهزيل بيد واحدة، و قذفني بداخل الزنزانة، لم أستعب كم الركلات والضربات المتتالية و التي أدمت جسدي، رفع جسدي مرة أخرى و قرب وجهي لوجهه المخيف فوجدت نفسي أسدد لكمة مباشرة لعينه اليمنى، صرخ و قذفني لركن الغرفة واضعاً يديه على عينه.

سقطت عيناي على شيء يلمع فتحسسته، إنه مفتاح! ولمعت في ذهني جملة «حرر نفسك» في الفيديو، أخذته بسرعة و زحفت للخارج قبل أن يستجمع قواه مرة

أخرى، و ما أن خرجت حتى لاحظ و ترك عينه التي لم يصبها مكروه من كدمتي، و اتجه إلي بقوة أكثر من قبل، ألتقطت الهاتف الملقي على الأرض و الذي كان ينير سقف النفق الضيق، و وضعت يداي على الحائط الذي يسد النفق بعد الزنزانة، تحسسته حتى وجدت ذلك الثقب، توترت يداي بينما أقوم بإدخال المفتاح في الثقب، حاولت تجاهل صوت الصراخ و السلاسل الحديدية، التي كادت أن تخرج من مربطها بجدار الزنزانة.

تمكنت أخيراً من فتح الباب الحجري.. مربط السلسلة الحديدية يتمدد.. الباب ثقيل... الرجل يجذب قدمه.. السلاسل انفكت.. الرجل يركض بكل قوته تجاهي.. أتمكن من فتح الباب قليلاً بشكل يسمح بالكاد لمرور شخص هزيل الجسد مثلي.. أعبر للجهة الأخرى و أرى يده الممتدة للأمام محاولة إمساكي، أغلق الباب خلفي بما أوتيت من قوة و أسمع ارتطام بالجهة الأخرى من الباب.

نظرت حولي ولكنني لم أجد اختلافاً كثيراً عما قبل ذلك الباب، نفس النفق ونفس كل شيء. ركضت في الطريق الوحيد المتاح لوقت غير معلوم، حتى يئست من أن أجد شيئاً آخر. جلست أرضاً مستنداً إلى الحائط حتى غلبني النوم.

رأيت في نومي كل ما أشتهي، و أكثرهم هو أن كل ذلك مجرد حلم و أنني في منزلي وفي حجرتي، أتحدث مع أبي، أتشاجر مع أمي، أتجاهل تحذيرات وجد، بدا كل ذلك حقيقياً للغاية، حتى أيقظني صوت الهاتف.

فتحت عيناي على ضوء الهاتف، وجدت طلب البلوتوث، و اسم المستخدم هو: «هل تريد أن تلعب؟» و هناك خيار واحد فقط: «**OK**».

فإذا بتطبيق ينفتح على الهاتف، تطبيق لم يكن على الهاتف من قبل، عبارة عن لعبة و لكن بدائية نوعاً ما، بها نقطة علي أن أحركها لتسير في ممر شبه واقعي، مظلم كالذي أتواجد به الآن، ممرات مشابهة للغاية، بعد دقائق من السير في ممرات اللعبة، سقطت النقطة في بالوعة، ثم تم التركيز على النقطة ليتضح أنها حجر نرد صغير، و فوق الحجر أربعة نقاط. كان المكان الذي سقطت فيه لا يختلف كثيراً عما هو فوق البالوعة، حركتها لتسير بالممرات حتى ظهر باب حجري و ظهرت «كلمة السر» و هناك خانة للكتابة، لم أدر ماذا أكتب، قمت بكتابة «نرد»، فظهر : «محاولة خاطئة، أمامك فرصة واحدة». فكرت ما يمكن أن تكون تلك الكلمة، لابد و أن هناك في اللعبة شيء يشير إليها، تذكرت عندما اقتربت الصورة من النرد

و كتبت: «أربعة»، فظهرت علامة خضراء وأُغلقت اللعبة

بحثت عنها في الهاتف كله فلم أجد شيئاً، و لكنني سمعت صوتاً كالصرير، انطلقت حتى وصلت لمصدر الصوت، فلم يكن إلا باب حجري آخر، و لكن كان عليه جهاز دخول رقمي صغير، يبدو أنه يحتاج لكلمة سر لينفتح.

و بكل ثقة ضغطت على رقم ٤، فلابد و أن لتلك اللعبة مغزى ما، و لكن لم يحدث شيء، ظل رقم ٤ كما هو ولم يظهر لي أن المحاولة غير ناجحة، لا أعلم حتى من أي رقم تتكون، نعم ل اللعبة مغزى! فلابد أنهم أربعة أرقام، و لكن ما عساهم أن يكونوا؟ ربما كلمة بالكود الثنائي، و لكن على قدر علمي لا يوجد كلمة ترجمتها بالكود الثنائي أربعة أرقام فقط، ربما هو مجرد رقم، ذكرني ذلك بالرقم السري لبطاقة إئتمان والدتي التي أعطتني إياها و كان رقمها السري هو تاريخ ميلادي، و لكن لا أظن أن تاريخ ميلادي هو الرقم السري لذلك الباب فلست بتلك الأهمية، ربما تاريخ ميلادهم، و لكن أي منهم ؟

لمعت في ذهني ذكرى قناة **ns•mnby**. كانت كل المقاطع في قائمة واحدة على القناة تسمى « النظام (١٩٩١- ٢٠١٦) «

قمـت بتجربـة ١٩٩١، سـمعت عـدة أصـوات معدنيـة، ثـم ارتفـع البـاب حتـى اختفـى بالسـقف. خطـوت بحـذر، و بعـد عـدة خطـوات، هبـط الباب مـن أعـلى خلفـي بعنـف، كان الممر الضيـق كالسـجن، كان بـه عـدة غـرف ذات أبـواب حديديـة موصـدة.

كان النفـق ذاتـه، و لكـن شـكل الجـدران يختلـف، فعليهـا طبقـة ممهـدة مـن الأسـمنت، حيـث بـدا المـكان ممهـداً لـشيء مـا، و كان هنـاك بـاب وحيـد غـير مؤصـد تمامـاً.

طرقـت عـلى كل بـاب مـن الأبـواب الحديديـة الموصـدة، و الخاليـة مـن أي فتحـات، لم أجـد رد سـوى صـدى صـوت طرقـات يـدي عـلى الأبـواب الحديديـة، حتـى اقتربـت مـن البـاب الغـير مؤصـد، كانـت هنـاك فتحـة صغـيرة مـن البـاب حيـث تـم مواربتـه، نظـرت مـن خلالهـا فكانـت مجـرد حجـرة بهـا أشـياء و لكـن ليس بهـا أشـخاص، فتحـت البـاب بحـرص و بيـد مرتعشـة لأتبـين مـا بهـا، و خطـوت للداخـل.

كانـت الحجـرة خاليـة إلا مـن صنـدوق زجاجـي مغلـق قائـم عـلى أربـع، و بداخـل الصنـدوق كان شيء يتحـرك، اقتربـت بحـرص لتتضـح الرؤيـة.

كان ما بداخل الصندوق مخلوق غريب مزيج بين الرعب و التقزز و الغرابة و الدماثة، كان أشبه بجنين و لكن ملامحه غير إنسانية و غير حيوانية أيضاًن فهو يمتلك أربعة أطراف مثلنا و لكن لونه دموي و ملامحه لا أقوى على وصفها، كان يتحرك حركات محدودة واهنة.

كان على أحد جانبي الصندوق هناك ملصق كُتب فوقه: «هجين رقم «879BN07H12-»

أياً كان ذلك الشئ فهو منفر للغاية، إنطلقت لخارج الحجرة سريعاً و أكملت سيري في ذلك النفق الذي لا ينتهي، لم يكن هناك حجرات أخرى، فقط النفق. حتى انتهى النفق بباب حديدي كبير، يبدو وأنه المخرجن كدت أقترب منه حتى رأيت آخر شئ أتمنى رؤيته، أفعى كبيرة على الجانب الأيسر من الجدار، بينما ألتصقت بالجانب الأيمن محاولاً تجنبها، و لكن كيف و ما يفصل بيننا إلا أقل من متر، تراجعت للخلف و ركضت بينما كانت الأفعى تتبعني حتى أختبئت بالغرفة التي بها ذلك الجنين و أغلقت الباب من خلفي، فأياً كان ذلك الشئ لن يكون أكثر ضرراً من الأفعى، على الأقل فإنه بداخل الصندوق الزجاجي.

رأيت ظلاً من أسفل الباب و سمعت فحيحها، أسرعت بالإختباء بجانب عمود بالغرفة، رأيت ذيلها الرفيع يحاول الدخول من أسفل الباب، ازدت إلتصاقاً بالحائط خلفي وكأنني أدفعه دفعاً بجسدي،اختفى صوت الفحيح للحظة ثم فجأة سمعت طرقاً على الباب، يبدو و أن الأفعى تصطدم برأسها بالباب محاولة فتحه، و مع صوت الطرقات انتفض جسدي مع إلتصاقي بالجدار فاصطدم مرفقي بالحائط، شعرت بدخول مرفقي بالحائط فنظرت خلفي، فأكتشفت أن بالحائط لِبنة تتحرك للداخل، ألتفت و قمت بدفعها للداخل، لم تكن مجرد لبنة صغيرة بل كان قالباً ضخماً، قمت بدفعها بكلتا اليدين للداخل حتى سقطت إلى حيث لا أعلم.

كان مكان تلك اللبنة بالجدار كبيراً بما يسمح بمرور شخص هزيل الجسد مثلي، دخلت بنصفي العلوي في الجدار و كان المكان بالداخل عميقاً، فدخلت بجسدي كله وزحفت حتى سقطت منحدراً للأسفل كما سقطت الصخرة.

شعرت بتغير في درجة الحرارة و لم أصدق أنفي حين استنشق الهواء النقي، لقد هربت من النفق! كانت الغابة موحشة و باردة و لكنها أفضل من النفق بمراحل.

ركضت بلا هدف حتى أدركت أن الغابة كبيرة حقاً و أنني على وشك أن أفقد الوعي من فرط الإجهاد، سرت بهدوء في الغابة بحثاً عن الطعام، و لحسن الحظ وجدت شجرة فواكه، و كانت بعض الثمرات ترقد بجانب جذع الشجرة، تناولت جميع الثمرات الساقطة لتلك الفاكهة التي لم أرها من قبل، و لكن لا يهم ما كنهها، فيكفي أنها تحتوي على السكر و الماء الكافيين لإبقائي حياً، تناولت عشرات الثمرات بنهم غير مسبوق.

استلقيت على الحشائش متأملاً في السماء المرصعة بالنجوم، قررت أن أنال قسطاً من الراحة لأستكمل ما أواجهه و استلقيت على جانبي

***

فتحـت عينـيّ و كان الليـل مـازال مسـدلاً سـتائره عـلى الغابـة، و كنـت لا أزال راقـداً عـلى جانبـي. لم أتحـرك للحظـة حتـى تعتـاد عينـاي عـلى الظـلام، و بالفعـل إعتـدت عـلى الرؤيـة بالظـلام، كانـت الأشـجار بالظـلام تبـدو مخيفـة، و لحسـن الحـظ كنـت أرقـد بمـكان خـالي مـن الأشـجار، فلـم أبتعـد كثـيراً مـن مخـرج النفـق.

ظللـت محدقـاً في الأشـجار لفـترة طويلـة إلى حـد مـا، بـدأت ألاحـظ تفاصيـل أدق، لاحظـت وجـود أشـياء تسـتند إلى جـذوع الأشـجار، و كأنهـم أشـخاص، بالفعـل هـم أشـخاص، بـدون أن أقـوم بتغيـير وضعـي، أخرجـت هاتفـي، و قمـت بتصويـر أحـد الأشـجار بعـد أن أغلقـت (الفـلاش). كانـت الصـورة مظلمـة أيضـاً، و لكنني قمـت بتفتيحهـا و تعديلهـا، و سـاعدني في ذلـك جـودة الكامـيرا بهاتفـي، بعـد أن قمـت بتعديلهـا، قمـت بتقريـب الصـورة، ومـا وجدتـه كان كالتـالي: شـخصاً يسـتند لجـذع الشـجرة، و هنـاك شـيئاً على رأسـه، أشـبه بقبعـة كالقرطـاس، ذكـرني بالرجـل ذا ملابـس الطاعـون الـذي كان يهددنـا بالقتـل في المنـزل، و كان هنـاك المئـات منهـم. فهنـاك واحـد عنـد كل جـذع شـجرة، بحثـت بعينـيّ عـن شـجرة لا يسـتند إلى جذعهـا شـخص فلـم أجـد، مئـات الأشـخاص بـذات القبعـات.

ما يقرب من ساعة و لم يحرك أحدهم ساكناً، و كذلك فعلت، و فجأة وبدون مقدمات، سقط جميعهم و في نفس اللحظة على أركبهم و ظلوا جالسين عليها، و ظلوا هكذا لما يقرب من نصف الساعة.

و فجأة و في اللحظة نفسها أيضاً أخذوا يرددون كلمات لم أتبينها أو أفهمها، كانو ينطقون كل حرف في نفس اللحظة بدون أي تفاوت و في نظام مذهل.، كادت الغابة ترتج من أصواتهم، كان المشهد مهيباً و مخيفاً في نفس الوقت، كاد قلبي أن يتوقف من الرعب، يبدو و أنها طقوس ما.

قررت أن أتابع المشهد من خلال كاميرا هاتفي حتى لا اضطر لرفع رأسي، و بالفعل ظللت أتابعهم بعد أن انتهوا من الترديد و ساد الهدوء ظلوا كما كانوا.

لكن فجأة، رأيت على شاشة هاتفي وجوههم وهي تلتفت لي في نفس الوقت، عيونهم صفراء مضيئة تنظر لكاميرا الهاتف بشكل مباشر، مما أشعرني بأنهم ينظرون إلي مباشرة. نظرت إليهم من خلف الهاتف، فإذا بي أجد مئات من العيون اللامعة تنظر إلي بنظرة صارمة قادرة على إيقاف قلبي، شُلّ جسدي للحظات من الرعب، كانوا يقتربون معاً ببطء.

أفقــت مــن تجمــد جســدي و نهضــت و ركضــت و أنــا منحنــي الظهــر إلى مخــرج النفــق، لم أنظــر خلفــي، لم أرد أن أعلــم إن كانــوا يتبعوننــي أم لا، ركضــت بــأسرع مــا يمكــن حتــى وصلــت و أدخلــت جســدي بالفتحــة و ســقطت في الغرفــة مــرة أخــرى، ثــم ســددت الصخــرة باللبنــة.

نظــرت حــولي بينــما أحــاول إلتقــاط أنفــاسي، كان كل شــئ كــما كان، الجنــين مــازال بالصنــدوق الزجاجــي و بــاب الغرفــة مــازال مغلقــاً.

تذكــرت مــا جــاء بي إلى هنــا و هــو الأفعــى، فبــدت مضحكــة مقارنــة بــما رأيتــه بالخــارج، هــؤلاء القــوم يقومــون بطقــوس لــشيء مــا أخشــى أن أفكــر حتــى في هدفهــا، كل مــا أعلمــه هــو أنــه لم يجــب أن أتواجــد في ذلــك المــكان، فقــط كنــت بالمــكان الخاطــئ بالوقــت الخاطــئ، فــإذا كان وجــودي في هــذا النفــق ضمــن الخطــة فإكتشــافي لذلــك المخــرج لم يكــن ضمنهــا، و بالتــالي لابــد أن أكمــل الطريــق.

فتحــت البــاب بحــرص و تفقــدت الطريــق فلــم أجــد الأفعــى فانطلقــت نحــو البــاب الحديــدي عــلى جانبــه شاشــة ســوداء مربعــة، بالــكاد مثــل حجــم اليــد، وضعــت كــف يــدي فوقهــا، فــإذ بالشاشــة يظهــر فوقهــا علامــة **x** تمــلأ الشاشــة. نزعــت يــدي فــإذا بصــورة كــف بيضــاء بنفــس حجــم كــف

يـدي و عليهـا علامـة **x** كبـيرة، هــو تمامـاً رمـز قنـاة كهـف الظـلال، و يبـدو أن البـاب يعمـل ببصمـة اليـد، ففتـح البـاب بعدهـا بلحظـات.

كان هنـاك بهـو واسـع لا يشـبه النفـق في شيء، كان في المنتصف شيء يشبه المنصة، و هنـاك في آخـر البهـو، كان هنـاك مجموعـة مـن الأشـخاص يقفـون في شـكل دائـري ولكـن وجوههـم تجاهـي، كانـوا بملابـس الطاعـون السـوداء، صامتين لا يتحركـون ولا يبـدو شيء مـن ملامحهـم. سرت بـتردد حتـى وصلـت للمنصة،كانـت هنـاك ورقـة سـميكة عـلى المنصـة، والغريـب أن الكتابـة عليهـا باللغـة العربيـة، و في خـلال ثـوان، أسـتلمت رسـالة نصيـة عـلى هاتفـي مـن رقـم مجهـول، يبـدو أن ذلـك البهـو قريـب مـن السـطح، كانـت الرسـالة بالإنجليزيـة كالعـادة، ترجمتهـا : «إقـرأ القسـم بصوتـك. بلغتـك!».

أمسـكت الورقـة غريبـة المظهـر والملمـس، و قـرأت المكتوب بصـوت عالي:

«أقسـمت أنـا رامـي حسـام جمـال خليـل أن أتبـع النظـام، و أن أطـع المُراقِـب طاعـة عميـاء، و أن أكـون مخلصـاً للنظـام، مسـتعداً للتضحيـة مـن أجلـه بدمائـي و عائلتـي و كل مـا أملـك، و أن أحافـظ عـلى قدسـية آبائنـا الأقدمـون، وأن أفعـل مـا بوسـعي لتصحيـح مـا أرتكبنـا مـن خطايـا، و أن أعمـل على

امتـزاج أجدادنـا ببنـي الإنسـان لإنتـاج الجنـس السـامي، و أن أُسـخر بنـي الإنسـان لخدمـة الجنـس الجديـد حتـى يصبـح هـو الجنـس السـائد، و أن أحفـظ العهـد القديـم والعهـد الجديـد و جميـع العهـود و المواثيـق، ليتمجـد أجدادنـا القدمـاء حيـث كانـوا، وأن أكـون عبـداً مخلصـاً للمُراقـب الأعظـم، و أن أؤدي سـجود الـولاء لـل.. إيـه؟!!! «

في تلـك اللحظـة كانـت المجموعـة تلتـف ليعطنـي كل منهـم ظهـره و يقومـون بالسـجود في آن واحـد و في نفـس الدائـرة، ليظهـر مـا كانـوا يلتفـون حولـه، كان مـن يجلـس عـلى الكـرسي في منتصـف الدائـرة هـو أبعـد مـا يقـال عنـه أنـه بـشري، كان أبشـع مـا رأيـت بحيـاتي، هـو شيء عـلى هيئـة شـخص، إنـه الشـيطان!.

هالنـي المشـهد، و لم أشـعر بلسـاني الـذي لم تمتـم إلا ب»لا لا لا لا لا لا«. كنـت أهـز رأسي و أتراجـع للخلـف غـير مصدق لما يحـدث، لم يكـن مـا قيـل لوجـد إلا جـزء مـن الحقيقـة، سـيبيدوا كل مـن لا يصلـح للحيـاة و لكـن ليـس لبنـاء مجتمـع أفضـل من الأصحـاء، بـل لبنـاء مجتمـع جديـد يكـون أولئـك الأصحـاء عبيـداً لهـم، و كان ذلـك الجنـين في الصنـدوق الزجاجـي هـو بـذرة ذلـك الجنـس الجديـد، مـازال عقـلي يرفـض مشـهد السـجود لكائـن شـيطاني.

لمحت باباً فركضت نحوه حتى خرجت من البهو، لم يلحقني أحدهم كانوا مازالوا منغمسين في طقوس عباداتهم الشيطانية، كان الباب يؤدي لممر قصير ينتهي بالضوء

ركضت به حتى خرجت منه، وجدت نفسي في الخارج بالغابات، لم أنظر خلفي، كان شروق الشمس يتخلل الأشجار فكانت الرؤية لا بأس بها، لا أدري كم من الوقت ركضت. كان كل جزء بجسدي يؤلمني فتجاهلت كل ذلك.

بدأ ضوء الشمس يملأ الأرجاء، توقفت حين رأيت ما تمنيته و هو الطريق الممهد، لم أصدق عيني حين رأيت السيارات المسرعة، وقفت في منتصف الطريق حيث خارت قواي و سقطت فاقداً للوعي.

***

فتحت عينيّ لأجد نفسي بمطعم بسيط على الطريق، كانت الرؤية مشوشة و لم أسمع إلا صفيراً في أذني بدأ يخفت تدريجياً، كان أمامي شخص يحاول أن يسألني عن شيء لا أسمعه، كنت أريد أن أصرفه فقلت له بوهن بالإنجليزية- إفتراضاً أنها لغته أو على الأقل يفهمها- أنني بخير.

انصرف الرجل و بدأت الرؤية تتضح، كان أمامي على الطاولة بعضاً من طعام الإفطار و عدة ورقات مالية، يبدو

و أن أحدهـم حملنـي مـن الطريـق بسـيارته و جـاء بي إلى هنـا.

نظـرت في هاتفـي الـذي التقـط إشـارة إنترنـت مجـاني مـن المطعـم، قمـت بالإتصـال بهـا، فتحـت ال **whatsapp** و توقفـت عنـد اسـم وجـد، و ضغطـت إتصـال.

***

١٢:٠٠ p.m

قمت بوضع أغراضي على المكتب بعد أن قمت اخيراً بركن سيارتي بالجراچ بعد محاولات عديدة ثم صعدت للمكتب، ها وقد انتهى الجزء الأصعب باليوم، على الرغم من ذلك فإني أعشق سيارتي الجديدة،ما أجمل أن تكون مضحياً و تستمتع بمميزات ألا تكون كذلك في نفس الوقت، فقد قررت ألا أظل أنانية بعد الآن و أن أستغل وضعي الحالي.

تأكدت قبل أن أصل لمكتبي من هندامي في مرآة المصعد، نظرت لملامحي التي تغيرت كثيراً في خلال أيام، و تذكرت ذلك اليوم المشئوم الذي عدت فيه للمنزل في حالة يرثى لها. و كان ذلك اليوم آخر عهدي بنفسي القديمة.

حتى الآن أنا ألعب دوري ببراعة، وقفت و حولي مجموعة من الموظفين الجدد مصفقة بيدي وأنا أهتف: «يالـلا يا شباب المفروض نكون على مكاتبنا دلوقتي. مش عايزة أي تأخير»

ما أجمل أن يكون لك سلطة على مجموعة من الأشخاص بعضهم قد يكون أكبر منك سناً. تلك هي المجموعة الجديدة من للموظفين الجدد، علي ان أرشح بعضهم لينضم إلينا.

ذلك الشاب ماجد، يبدو اختياراً مناسباً لابد أنه سيكون الاختيار الأول و محطاً لأنظار باقي أفراد المنظمة، خصوصاً المكلفين بنفس مهمتي.

قاطعني رنين هاتفي، كان ذلك رامي أتجهت للخارج و أجبت، لم أسمع شيئاً في البداية. فقلت:

- رامي؟

أتاني صوت رامي محشرجاً، خافتاً، و آلياً:

- مش بشر..

- إيه؟ رامي أنت كويس؟

- هم مش بشر.. مش زي ما قالولك، الأرض مبقتش لينا.

- لينا اللي هم مين؟ أنا وإنت يعني؟

- اللي هما البشر..

- مش فاهمة.. أنت....

قاطعني قائلاً:

- شفته.. المراقب بتاعهم.. مش بشر.. مش إنسان.. هم بيعبدوه.. و هنبقى كلنا خادمين لسلالته.. إهربي لو تقدري.

ثم انقطعت المكالمة، دخلت مرة أخرى و ابتسمت في وجه الموظفين الجدد عسى أن أخفي شحوب وجهي.

أفقت على نداء ماجد لي فقدمت نحوه بابتسامة ودودة، قال:

- وجد.. محتاج مساعدتك في حاجة كدة مش عارف اعملها.

- اه أكيد.... هات كده الماوس..

كنــت أقــف عــلى يســاره، مســكت الفــأرة بيمنــاي وأنــا مازلــت عــلى يســاره لأقــترب مــن رأســه.. اقتربــت حتــى صــارت شــفتاي قريبــة مــن أذنــه، و همســت:

- اهرب... اهرب!

***

(تمت)

المصادر

Elias Doyle blog:

http://eliasdoyle662.blogspot.com/?m=1

Cave of shadows ::

https://www.youtube.com/channel/UCwhvgIW-YDw4-34VGA2mgQw

Cenimatic Silence:

https://www.youtube.com/channel/UC2cMbBB-24JVhabC-3hesLyQ

Creepypasta archives :

https://m.youtube.com/user/CreepypastaArchives1

:Michael Dunahee's disappearance

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Michael- Dunahee

Scare theatre :

https://www.google.com.eg/url?sa=t&source=web&rct=-

j&url=https://m.youtube.com/user/ScareTheater&ved=2a-

hUKEwjIgMudj8LcAhUhx4UKHW9bDIYQFjAAegQI-

CRAC&usg=AOvVaw1PjyLXWBDiz5htTXImoLxl

The Soup Guy:

https://www.youtube.com/watch?v=nuquIZsYVqU

التواصل مع داركتاب

Email : darkitabone@gmail.com

fasbook : darkitabone

البدج داركتاب

٠١٠٩٧٥٥٣٣٢٨